تفسير

جزء عم

مصادر التفسير:

الكشاف للزمخشري — تفسير القرطبي

تفسير البيضاوي — تفسير النسفي

تأليف: أحمد البجاوي الأشعري المالكي

ترتيب: لميس حواس الزيتونيّة

❖ تمهيد:

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم،

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده، و بعد :

﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

فإني قد كتبت لبعض الأصحاب و الخلان في رمضان من سنة 1439 بعد الهجرة الموافق لـ : ماي/جوان 2018 بالتقويم الإداري، مقالات متفرقة في تفسير جزء عم، ثم سألني من لا تسعني مخالفته أن أجمعها في ملف واحد حتى يسهل الرجوع إليها ، فأجبت سؤالهم، راجيا من الله العفو و المغفرة، بجاه النبي الأكرم، إنه ولي ذلك و القادر عليه.

اللهم علمنا ما ينفعنا ، و انفعنا بما علمتنا و زدنا علما و فقهنا في الدين و علمنا التأويل.

أحمد البجاوي الأشعري المالكي

بطاقة التعريف بتفسير القرطبي

المؤلف: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح القرطبي المالكي الأشعري (671هـ)

اسم التفسير كاملا: الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمن من السنة وأحكام الفرقان

قال في مقدمة التفسير:

"فلما كان كتاب الله هو الكفيل بجمع علوم الشرع الذي استقل بالسنة والفرض، ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض، رأيت أن أشتغل به مدى عمري، و أستفرغ منه منتى، بأن أكتب فيه تعليقا وجيزًا يتضمن نكتًا من التفسير، واللغات، والإعراب، والقراءات، والرد على أهل الزيغ والضلالات، وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات، جامعا بين معانيها، ومبينا ما أشكل منها بأقاويل السلف ومن تبعهم من الخلف".

أهم التفاسير التي استخدمها القرطبي كمراجع:

-تفسير الطبري
-تفسير الماوردي
-إعراب القرآن و معاني القرآن للنحاس (كتابان)
-تفسير ابن عطية
-أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي

قالوا عنه و عن تفسيره:

"إمام متفنّن متبحِّر فِي العلم، له تصانيف مفيدة تدلّ على كثرة اطّلاعه و وُفُور فضْله... وقد سارت بتفسيره العظيم الشّأن الرُّكْبان، وهو كامل فِي معناه.
وله كتاب «الأسْنَى فِي الأسماء الحُسْنى» ، وكتاب «التّذكرة» ، وأشياء تدلّ على إمامته وذكائه وكثْرة اطّلاعه"

-الذهبي في تاريخ الإسلام-

"التفسير الجامع لأحكام القرآن» الحاكي مذاهب السّلف كلّها، وما أكثر فوائده.
وكان إماما علما، من الغوّاصين على معاني الحديث، حسن التصنيف، جيد النقل".

-شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي-

"أخذ عن أبي العباس القرطبي وغيره، له تفسير كبير في اثني عشر مجلداً وهو من أجلّ التفاسير وأعظمها نفعاً أسقط منه القصص والتواريخ وأثبت أحكام القرآن واستنباط الأدلة وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ"

-شجرة النور الزكية-

بطاقة التعريف بتفسير البيضاوي

المؤلف: قاضي القضاة نَاصِر الدّين عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعي الأشعري (691هـ)

اسم التفسير كاملا: أنوار التنزيل وأسرار التأويل

قال في خاتمة تفسيره:

"وقد اتفق إتمام تعليق سواد هذا الكتاب المنطوي على فرائد فوائد ذوي الألباب، المشتمل على خلاصة أقوال أكابر الأئمة وصفوة آراء أعلام الأمة، في تفسير القرآن وتحقيق معانيه، والكشف عن عويصات ألفاظه ومعجزات مبانيه، مع الإيجاز الخالي عن الإخلال، والتلخيص العاري عن الإضلال، الموسوم بـ "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"

أهم التفاسير التي استخدمها البيضاوي كمراجع:

-الكشاف للعلامة الزمخشري

-تفسير الراغب الأصفهاني

-التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للإمام فخر الدين الرازي

قالوا عنه و عن تفسيره:

"كان رحمه الله إماماً مبرزاً نظاراً خيراً صالحاً متعبداً فقيهاً أصولياً متكلماً مفسراً محدثاً أديباً نحوياً مفتياً قاضياً عادلاً"

-رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب لابن السبكي-

"كان عالماً بعلوم كثيرة صالحاً خيراً، صنّف التصانيف المشهورة في أنواع العلوم"

-الإسنوي في طبقات الشافعية-

"قال ابن حبيب: عالم نمى زرع فضله ونَجَم وحاكم عظمت بوجوده بلاد العجم برع في الفقه والأصول وجمع بين المعقول والمنقول تكلم كل من الأئمة بالثناء على مصنفاته ولو لم يكن له غير المنهاج الوجيز لفظه المحرر لكفاه ولي أمر القضاة في شيراز وقابل الأحكام الشرعية بالاحترام والاحتراز".

-حاشية الشرواني-

"تفقه بأبيه، وتفقه والده بالعلامة مجير الدين محمود بن أبي المبارك البغدادي الشافعي، وتفقه مجير الدين بالإمام معين الدين أبي سعيد منصور بن عمر البغدادي وتفقه هو بالإمام زين الدين حجة الإسلام أبي حامد الغزالي رحمهم الله تعالى. قلت: ونسبة الغزالي في الفقه إلى الشافعي معروفة، وكذلك نسبته ونسبة أخيه الشيخ الإمام الغزالي في التصوف معروفتان"

-مرآة الجنان لليافعي-

بطاقة التعريف بتفسير النسفي

المؤلف: أبو البركات حافظ الدين عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الماتريدي الحنفي (701 هـ)

اسم التفسير كاملا: مدارك التنزيل وحقائق التأويل

قال في مقدمة تفسيره:

"كتاباً وسطاً في التأويلات، جامعاً لوجوه الإعراب والقراءات، متضمناً لدقائق علمي البديع والإشارات حالياً بأقاويل أهل السنة والجماعة، خالياً عن أباطيل أهل البدع والضلالة، ليس بالطويل الممل، ولا بالقصير المخل"

أهم التفاسير التي استخدمها النسفي كمراجع:

-الكشاف للعلامة الزمخشري
-تفسير البيضاوي

قالوا عنه و عن تفسيره:

"أحد الزهاد الْمُتَأَخِّرين صَاحب التصانيف المفيدة فى الْفِقْه وَالْأُصُول"

-الجواهر المضية في طبقات الحنفية-

"عَلامَة الدُّنْيَا أَبُو البركات"..

-الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني-

"نشأ على قدم هائل، وتفقه بجماعة من أعيان العلماء، حتى برع في الفقه والأصول والعربية واللغة ... وتصدر للإفتاء والتدريس سنين عدية، وانتفع به غالب علماء عصره... وانتهت إليه رئاسة الحنفية في زمانه علماً وعملاً، هذا مع الخلق الحسن، والتواضع الزائد، وفصاحة اللفظ، وطلاقة اللسان، ومحبته للفقراء والطلبة والإحسان إليهم، وأكب على الاشتغال والإشغال والتصنيف...
وكان إماماً عالاً، زاهداً خيراً، ديناً كريماً، متواضعاً، مترفعاً على الملوك، متواضعاً للفقراء، لا يتردد لأرباب الدولة، ولا يجتمع بهم إلا إذا أتوا إلى منزله، أثنى على علمه ودينه غير واحد من العلماء، ولم يزل على ما هو عليه من العلم والعمل حتى أدركه أجله فمات ليلة الجمعة من شهر ربيع الأول سنة إحدى وسبعمائة"

-المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي-

"فقيه، اصولي مفسر، متكلم".

-معجم المؤلفين-

بطاقة التعريف بتفسير الزمخشري

المؤلف: العلامة الأول أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي جار الله الزمخشري المعتزلي الحنفي (538 هـ).

اسم التفسير كاملا: الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل.

قال الزمخشري يمدح كشافه:

"إنّ التفاسير في الدنيا بلا عددٍ ** وليس فيها لعمري مثلُ كشافي
إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته ** فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

فائدة: الكشاف الذي بين أيدينا هو الكشاف الثاني، وهو اختصار للأول الذي يقدر أنه في نحو من عشرين مجلدا.

أهم التفاسير التي استخدمها الزمخشري كمراجع:

-تفسير أبي بكر الأصم
-تفسير أبي علي الجبائي
-تفسير أبي مسلم الأصبهاني
-تفسير أبي الحسن الرماني
و كلها تفاسير للمعتزلة

قالوا عنه و عن تفسيره:

""برع في الآداب، وصنف التصانيف، وَرَدَ العراق وخراسان، ما دخل بلدا إلا واجتمعوا عليه، وتتلمذوا له، وكان علامة نسابة"

-الأنساب للسمعاني-

"ومن لطيف ذلك أن الحافظ أبا الطاهر السِلَفي كتب إليه من الإسكندرية يستجيزه، وكان الزمخشري مجاوراً بمكة، فكتب إليه جواباً طويلاً يقول في مطلعه :
ما مثلي مع أعلام العلماء إلا كمثل السُّها مع مصابيح السماء.. والجهام الصُفر والرّهام مع الغوادي الغامرة للقيعان والآكام، والسُّكيت المخلَّف مع خيل السباق، والبُغاث مع الطير العَناق.. وما التلقيب بالعلامة، إلا شبه الرقم بالعلامة ..
والعلم مدينة أحد بابيها الدراية، والثاني الرواية، وأنا في كلا البابين ذو بضاعة مزجاة، ظلي فيها أقلص من ظلّ حصاة، أما الرواية فحديثة الميلاد، قريبة الإسناد، لم تستند إلى علماء نحرير ولا إلى أعلام مشاهير، وأما الدراية فثمد لا يبلغ أفواهاً، وبرض ما يبلّ شفاهاً.. ولا يغرنّكم قول فلان وفلان في.. -و عد قوماً من الشعراء والأدباء-؛ فإن ذلك اغترار منهم بالظاهر المموّهِ، وجهل بالباطن المشوَّه".

-وفيات الأعيان لابن خلكان-

"النحوي، اللغوي، المتكلم، المعتزلي، المفسر، يلقب جار الله، لأنه جاور بمكة زماناً...وكان علامة الأدب، ونسابة العرب، تضرب إليه أكباد الإبل".

-طبقات المفسرين للسيوطي-

سورة النبأ وهي مكية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ٣ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٥ ﴾

﴿ عَمَّ ﴾: أصله "عن ما"، قال الزجاج: أدغمت النون في الميم، لأنها تشاركها في الغنة.

و هذا استفهام تفخيم للمستفهم عنه لأنه تعالى لا تخفى عليه خافية، كأنه لفخامته خفي جنسه فيسأل عنه

﴿ يَتَسَآءَلُونَ ١ ﴾: الضمير راجع لقريش و أهل مكة، قيل للكفار منهم لأن منهم من يقطع بإنكار "النبأ العظيم" و منهم الشاك، و قيل الضمير للمسلمين و الكافرين جميعا، أما المسلم فليزداد خشية و استعدادا و أما الكافر فليزداد استهزاءً

﴿ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ٢ ﴾ : للمفسرين فيه ثلاثة أقوال:

الأول: عن ابن عباس: هو القرآن، لقوله تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ٦٧ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ٦٨ ﴾ [سورة ص: ٧٨-٧٩]

الثاني: عن قتادة: هو البعث بعد الموت، و اختاره النسفي، و قال القرطبي هو الأظهر لدليل قوله تعالى لاحقا: ﴿ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتًا ١٧ ﴾ [سورة النبأ:17]

الثالث: نبوة محمد صلى الله عليه و سلم

﴿ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ٣ ﴾ : بجزم النفي والشك فيه، أو بالإقرار أو بالإنكار.

﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ﴾ : أي سيعلمون عاقبة النبأ العظيم، أحق هو أم باطل.

و لـ"كلا" معان: أنها للرد على سؤال "عم" و ردعهم عن التساؤل هزؤا و وعيد عليه و بالتالي يوقف عليها في القراءة و تفصل عن قوله "سيعلمون"، أو أنها بمعنى "حقا"، و بمعنى "ألا" و فيُبدأ بها و توصل بقوله "سيعلمون"

﴿ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ ﴾ : تكرير للمبالغة و "ثُمَّ" للإشعار بأن الوعيد الثاني أشد

أما على أنه ليس تكرير للمبالغة، فأقوال:

قال الضحاك: "كَلَّا سَيَعْلَمُونَ" يعني الكافرين عاقبة تكذيبهم "ثم كلا سيعلمون" يعني المؤمنين عاقبة تصديقهم

وقيل: الأول عند النزع والثاني في القيامة

و قيل: الأول للبعث والثاني للجزاء

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦ ﴾

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ ﴾ : لما أنكروا النبأ العظيم و البعث قيل لهم: ألم يخلق من يضاف إليه البعث هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال القدرة فما وجه إنكار البعث و ما هو إلا اختراع كهذه الاختراعات

و قيل: فيه إشارة لدليل العلة الغائية، أي ألم تروا أنه فعل هذه الأفعال المتكاثرة ؟ و الحكيم لا يفعل فعلا عبثا و ما تنكرونه من البعث و الجزاء مؤد إلى أنه عابث في كل ما فعل

و المهاد: الوطاء و الفراش

أي أنها لهم كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه، فرشناها لكم حتى سكنتموها

﴿ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ٧ ﴾ : أي أوتادا للأرض حتى لا تميد بكم أي تميل

أرسينا الأرض بالجبال كما يرسى البيت بالأوتاد

﴿ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ٨ ﴾ : من ذاكر و أنثى

و قيل: يصدق بكل متقابلين من حسن و قبيح، و طويل و قصير لتختلف الأحوال فيقع الاعتبار فيشكر الفاضل و يصبر المفضول

﴿ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ٩ ﴾ : قطعاً عن الإِحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية وإزاحة لكلالها

المسبوت هو الميت من السبت وهو القطع ذلك لأنه مقطوع عن الحركة، فإذا نام انقطع عن الناس و عن الاشتغال

و قيل: السبت أصله التمدد، يقال: سبتت المرأة شعرها إذا حلته و أرسلته، فالسبات كالمد، و يقال إذا أراد الرجل أن يستريح تمدد، فسميت الراحة سبتا

﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ١٠ ﴾ : غطاء يستتر بظلمته إذا أردتم إخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه

و قال ابن جبير و السدي: أي سكنا لكم

﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ١١ ﴾ : فيه إضمار: أي وقت معاش، متصرفا لطلب المعاش تتقلبون في حوائجكم و مكاسبكم من مطعم و مشرب و ملبس و غير ذلك، ف"معاش" اسم زمان

﴿ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ١٢ ﴾ : سبع سموات أقوياء محكمات لا يؤثر فيها مرور الدهور.

أو غلاظا غلظ كل واحدة مسيرة خمسمائة عام

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾﴾ : المراد الشمس، و المعنى متلألئاً وقاداً، مضيئا جامعا للنور و الحرارة، وهجت النار إذا أضاءت، أو بالغاً في الحرارة من الوهج وهو الحر

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾ : المعصارت هي الرياح، قاله ابن عباس و مجاهد و قتادة، ،لأنها مبدأ الإنزال تعصر السحاب لتمطر

و قيل: هي نفس السحاب وهي منتهى الإنزال

و "ثجاجا": منصبا بكثرة عن ابن عباس و مجاهد و غيرهما

في الحديث "أفضل الحج العج والثج"

أي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي

﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾﴾ : أي بذلك الماء، "حبا" كالبر و الشعير و الحنطة "نباتا" ما يعتلف من التبن والحشيش، قال تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ﴾ [سورة طه:٦٥]

﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ : أي بساتين ملتفة الأشجار لتشعب أغصانها

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾﴾ : بين المحسن و المسيء، و المحق و المبطل

و "ميقاتا" أي وقتا و مجمعا و ميعادا للأولين و الآخرين لما وعد الله من الجزاء و الثواب، و حداً تؤقت به الدنيا وتنتهي عنده، أو حداً للخلائق ينتهون إليه.

و سمي يوم الفصل لأن الله تعالى يفصل فيه بين خلقه

﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ١٨﴾ : وهي النفخة الثانية "فتأتون أفواجا" من القبور جماعات مختلفة أمما كل أمة مع رسولها إلى المحشر

و فيه حديث معاذ بن جبل الذي أورده صاحب الكشاف

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ١٩﴾ : أي فصارت من كثرة الشقوق كأن الكل أبواب أو فصارت ذات أبواب من أجل نزول الملائكة، دليله قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ٢٥﴾ [سورة الفرقان:٣٦]

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ٢٠﴾ : أي لا شيء كما أن السراب كذلك يظنه الرائي ماء و ليس بماء، ذلك لتفرق أجزائها و انبثاث جواهرها

و قيل في "سيرت" أي نسفت من أصولها، و قيل: أزيلت عن مواضعها

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ٢١﴾ : المرصاد الحد الذي يكون فيه الرصد، فالسراط ينصب على جهنم ليكون للخلق ممرا، فالمؤمن يمر عليها و الكافر يسقط و يدخل فيها فملائكة العذاب يرصدون الكفار حتى ينزلوا بهم لجهنم، و ملائكة الرحمة ترصد المؤمنين لاستقبالهم إلى الجنة و يحرسوهم من فيحها عند مجازهم عليها

و قيل: جهنم هي المترقبة المترصدة، متطلعة لمن يأتي تقول ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾

﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ٢٢﴾ : مرجع للكافرين لإقامة الجزاء، قال قتادة: مأوى و منزلا

و المراد بالطاغين من طغى في دينه بالكفر، أو في دنياه بالظلم

﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ٢٣﴾ : أي ماكثين و اللبث أقوى و أبلغ فإنه لا يقال لبثٌ إلا لمن شاءنه اللبث كالذي يجثم بمكان لا يكاد ينفك عنه

و "أحقابا" جمع حقب: وهو الدهر و الأحقاب الدهور أي دهوراً متتابعة، قيل الحقب ثمانون سنة و قيل دون ذلك و قيل أكثر

و لم يرد به عدد محصور بل الأبد كلما مضى حقب تبعه آخر إلى غير نهاية، و لا يستعمل الحقب و الحقبة إلا إذا أريد تتابع الأزمنة

فذكر الأحقاب لأنها أبعد شيء عند العرب في الأزمنة فتكلم بما تذهب إليه أوهامهم و يعرفونها، و هي كناية عن التأبيد، فهي أدل على الخلود، وهذا الخلود في حق المشركين ففي الآية رد على من قال بفناء النار و أهل من الجهمية و من وافقهم.

﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤﴾ : يحتمل أن يلبثوا فيها أحقاباً غير ذائقين إلا حميماً وغساقاً، ثم يبدلون جنساً آخر من العذاب

ويجوز أن يكون جمع حقب من حقب الرجل إذا أخطأه الرزق، وحقب العام إذا قل مطره وخيره فيكون حالاً بمعنى لابثين فيها حقبين، وقوله لاَ يَذُوقُونَ تفسير له والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار

و قيل البرد هو النوم، تقول العرب: أذهب البرد البرد، أي أذهب البرد النوم.

﴿إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ۝٢٥﴾ : الحميم: الماء الحار يحرق ما يأتي عليه و قيل دموع أعينهم تجمع في حياض ثم يسقونه

و الغساق ماء يسيل من صديدهم و قيحهم

﴿جَزَآءٗ وِفَاقًا ۝٢٦﴾ : جوزوا بذلك جزاء ذا وفاق لأعمالهم، أو ذا وفاق

قال مقاتل: وافق العذاب الذنب، فلا ذنب أعظم من الشرك، و لا عذاب أعظم من النار

و قال الحسن و عكرمة: كانت أعمالهم سيئة، فأتاهم الله بما يسوءهم.

﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا ۝٢٧ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ۝٢٨ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا ۝٢٩ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ۝٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ۝٣٣ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ۝٣٤ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ۝٣٥ جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ۝٣٦﴾

﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧﴾ : لا يخافون محاسبة الله إياهم، أو لم يؤمنوا بالبعث فيرجوا حسابا، قاله الزجاج

﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ۝٢٨﴾ : أي بما جاءت به الأنبياء، و قيل: بما أنزلنا من الكتب

كِذَّاباً تكذيباً وفعال بمعنى تفعيل مطرد شائع في كلام الفصحاء.

قال الزمخشري: سمعني بعضهم أي فصحاء العرب أفسر آية فقال: لقد فسرتها فُسَّارًا ما سُمِع مثله.

﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبًا ۝٢٩﴾ : معنى أحصينا: كتبنا، كتبناه في كتاب، قيل: أراد به العلم فإن ما كتب كان أبعد من النسيان، و قيل: أي كتبناه في اللوح المحفوظ لتعرفه الملائكة، و قيل أراد ما كتب على العباد من أعمالهم

كِتاباً مصدر لأحصيناه فإن الأحصاء والكتبة يتشاركان في معنى الضبط و التحصيل

﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾ : مسبب عن كفرهم بالحساب و تكذيبهم بالآيات ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة.

وهي آية في غاية الشدة و ناهيك بلن نزيدكم و بدلالته على أن ترك الزيادة كالمحال، قاله الزمخشري.

و في الحديث أن هذه الآية أشاد ما في القرآن على أهل النار.

﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١﴾ : أي فوزاً أو موضع فوز مصدر بمعنى النجاة من كل مكروه و ظفرا بكل محبوب، أو للمكان وهو الجنة

و المفاز مجمل و ما بعده من الآيات مبين له.

﴿حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبًا ۝٣٢﴾ : بساتين فيها أنواع الشجر المثمر، و الأعناب الكروم، من عطف الخاص على العام لمزيد الاهتمام.

﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾ : جمع كاعب وهي الناهد، هن من فلكت ثديهن.

و الأتراب: الأقران في السن

﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾ : من أدهق الحوض أي ملأه.

قال الحسن و قتادة و ابن زيد و ابن عباس: مترعة مملوءة.

و قال سعيد بن جبير و عكرمة و مجاهد و ابن عباس أيضا: متتابعة، يتبع بعضها بعضا.

و عن عكرمة و زيد بن أسلم: صافية.

﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا ﴾ أي في الجنة ﴿ لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴾: اللغو الباطل، أي ما يلغى من الكلام و يطرح، ذلك أن أهل الجنة إذا شربوا من خمرها لم تتغير عقولهم فيتكلموا باللغو. و لا يكذب بعضهم بعضا و لا يكاذبه

﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾ : بمقتضى وعده، عَطاءً تفضلاً منه إذ لا يجب عليه شيء، "حسابا" أي كثيرا، يقال أحسبت فلانا أي أكثرت له العطاء، قاله قتادة.

قال القتبي: نرى أصل هذا أن يعطيه حتى يقول حسبي.

قال الكلبي: حاسبهم فأعطاهم بالحسنة عشرا، مجاهد: و وعد لقوم بسبعمائة ضعف، و قد وعد لقوم جزاء لا نهاية له و لا مقدار.

﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۝ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ۝ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ۝ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا ۝ ﴾

﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِۖ ﴾ أي هو الرحمن ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ : أي لا يملكون الشفاعة من عذابه إلا بإذنه أو لا يقدر أحد أن يخاطبه خوفا

لأنهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضاً وذلك لا ينافي الشفاعة بإذنه وهو مختص بالكفار، أما المؤمنون فيشفعون بعد أن يؤذن لهم

﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ٣٨ ﴾ : تقرير وتوكيد لقوله لاَّ يَمْلِكُونَ، فإن هؤلاء الذين هم أفضل الخلائق وأقربهم من الله إذا لم يقدروا أن يتكلموا بما يكون صواباً كالشفاعة لمن ارتضى إلا بإذنه، فكيف يملكه غيرهم.

و اختلفوا في الروح على ثمانية أقوال:

1- قيل جبريل وهو للجمهور (الشعبي و الضحاك و سعيد بن جبير)

2- أنه ملك من الملائكة ما خلق الله أعظم منه إلا العرش، وهو لابن عباس

3- أنهم جند من جنود الله ليسوا من جنس الملائكة، وهو لأبي صالح و مجاهد

4- أنهم أشراف الملائكة، وهو لمقاتل بن حيان

5- أنهم حفظة على الملائكة، وهو لابن أبي نجيح

6- أنهم بنو آدم، قاله الحسن و قتادة، فمعنى روح أي ذوو روح

7- أرواح بني آدم تقوم صفا، بين النفختين قبل الرد إلى الأجساد

8- أنه القرآن، قاله زيد بن أسلم

و قوله "لا يتكلمون" أي لا يشفعون

و "قال صوابا" أي حقا قاله الضحاك و مجاهد

و قال أبو صالح: صوابا أي لا إله إلا الله

و قيل: هو قول الروح يوم القيامة: لا يدخل أحد الجنة إلا بالرحمة، و لا النار إلا بالعمل

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّۖ ﴾ : أي الثابت وقوعه

﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ ﴾ : أي مرجعا للعمل الصالح، إلى هذا المعنى أشار النبي صلى الله عليه و سلم في دعائه: "و الخير كله بيدك، و الشر ليس إليك"

﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ يا مشركي قريش و العرب، لسؤالكم استهزاء بالنبأ العظيم، وقربه لتحققه فإن كل ما هو آت قريب ولأن مبدأه الموت

﴿ يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ : تخصيص الأيدي بالذكر لأن أكثر الكسب يكون بها

﴿ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾ ﴾ : أي يا ليتني لم أخلق ولم أكلف، أو في هذا اليوم فلم أبعث، وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد تراباً فيود الكافر حالها.
و قيل: الكافر إبليس يرى آدم و ولده و ثوابهم فيتمنى لو كان مكانهم.

عن النبي صلّى الله عليه وسلم "من قرأ سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيامة"

انتهى تفسير سورة النبأ و لله الحمد.

سورة النازعات وهي مكية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥﴾

أقسم الله جل و عز بطوائف من الملائكة على أن يوم القيامة حق فقال ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾ هي الملائكة التي تنزع أرواح الكفار ﴿غَرۡقٗا ١﴾: أي إغراقا في النزع فإنهم ينزعونها من أقاصي الأبدان من أناملها و مواضع أظافرها و أصول قدميها، ثم يغرقها أي يرجعها في أجسادهم، ثم ينزعها مرة أخرى، هكذا عمله مع الكفار في النزع

و قيل: حال سلوك أرواح المؤمنين فإنها تنزع عن الشهوات فتنشط إلى عالم القدس

و قيل في ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١﴾ : هي خيل الغزاة تخرج من دار الإسلام إلى دار الحرب

و قيل: هي النجوم تنزع من المشرق إلى المغرب و إغراقها في النز بأن تقطع الفلك كله من برج إلى برج

و قيل: إغراق النازع في القوس أن يبلغ غاية المد حتى ينتهي النصل

﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢﴾ : قال ابن عباس: هي الملائكة التي تنشط نفس المؤمن

و عنه أيضا: أنها الملائكة تنشط أرواح الكفار ما بين الجلد و الأظفار، حتى تخرجها من أجوافهم نشطا بالكرب و الغم، كما تنشط الصوف من سفود الحديد.

و قيل: النجوم يسبحن في الفلك فيسبق بعضها في السير لكونه أسرع حركة فيدبر أمراً أنيط بها، كاختلاف الفصول وتقدير الأزمنة وظهور مواقيت العبادات، ولما كانت حركاتها من المشرق إلى المغرب قسرية وحركاتها من برج إلى برج ملائمة سمى الأولى نزعاً والثانية نشطاً.

﴿ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ ﴾ : عن علي كرم الله وجهه: هي الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين

و قال الكلبي: الملائكة تسبح في أرواح المؤمنين، فأحيانا ينغمس و أحيانا يرتفع كالذي يسبح في الماء، يسلونها سلا رفيقا بسهولة ثم يدعونها حتى تستريح

و قيل: تسبيح أرواح المؤمنين في مراتب الارتقاء فتسبق إلى الكمالات حتى تصير من المكملات

و قال قتادة و الحسن البصري: هي النجوم تسبح في أفلاكها و كذا الشمس و القمر

﴿ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ ﴾ : عن علي كرم الله وجهه: هي الملائكة تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء عليهم السلام

و قيل: هي الملائكة تسبق بني آدم إلى العمل الصالح فتكتبه.

و قيل هو الموت يسبق الإنسان، قاله مجاهد.

و قيل: النجوم يسبق بعضها بعضا في السير

و قيل: الخيل تسبق في الجهاد

﴿ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥ ﴾ : أجمعوا على أن المراد الملائكة، قاله القشيري

و قيل: هي الكواكب السبعة، و في تدبيرها وجهان:

أحدهما تدبير طلوعها و أفولها

و الثاني تدبيرها ما قضاه الله تعالى فيها من تقلب الأحوال

و على قول الجمهور بأن المدبرات هي الملائكة، فتدبيرها نزولها بالحلال و الحرام و تفصيله، قاله ابن عباس و قتادة.

و قيل: هي الملائكة التي وكلت بتدبير أحوال الأرض و الرياح و الأمطار

و قيل في تفسير كل ما سبق أنها صفات أنفس الغزاة، أو أيديهم تنزع القسي بإغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون إلى حرب العدو فيدبرون أمرها،

أو صفات خيلهم فإنها تنزع في أعنتها نزعاً تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها وتخرج من دار الإسلام إلى دار الكفر، وتسبح في حربها فتسبق إلى العدو فتدبر أمر الظفر.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦﴾ : الرجف شدة الحركة، يصحبها صوت شديد

و "الراجفة" هي الواقعة التي ترجف عندها الأرض و الجبال و هي النفخة الأولى، التي تميت كل شيء بإذن الله إلا من شاء الله و استثنى من خلقه

﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ : الواقعة التي تردف الأولى، فالرادفة النفخة الثانية

و هي التي تحيي كل شيء بإذن الله، و جاء في الحديث أن بينهما أربعون سنة .

و قيل: هي السماء والكواكب تنشق وتنتشر.

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨﴾ : وهي قلوب منكري البعث، و قيل قلوب الخلق أجمعين.

"واجفة" أي خائفة وجلة، من الوجيف، قاله ابن عباس و عليه عامة المفسرين

و قال السدي: زائلة عن أماكنها

﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ۝٩﴾ : على حذف المضاف، أي أبصار أصحاب القلوب الواجفة ذليلة من الخوف لهول ما ترى ، نظيره قوله تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [سورة القلم:43]

﴿يَقُولُونَ﴾ منكرو البعث ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠﴾ : الحافرة أي الحالة و الهيئة الأولى، يعنون الحياة بعد الموت

و المعنى: أن المكذبون بالبعث يقولون أنعود أحياء كما كنا قبل الموت ؟

وهو استفهام استنكاري ناشيء عن تكذيبهم و استبعادهم لهذا الأمر الجلل

و قيل: الحافرة الأرض التي تحفر فيها قبورهم، فهو بمعنى المحفورة، كقوله تعالى ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ [سورة القارعة:7] أي مرضية

﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝١١﴾ : يقال نخر العظم و بلي، و الناخر من العظام ما تدخل الريح فيه ثم تخرج منه من الجانب الآخر و فتصدر صوتا كالنخير

و المعنى: أنرد إلى الحياة بعد صرنا عظاما بالية متفتتة؟

و السؤال استنكاري أيضا

﴿ قَالُواْ ﴾ أي المنكرون للبعث ﴿ تِلْكَ ﴾ الرجعة و البعث بعد الموت ﴿ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢﴾ : أي ذات خسران أو خاسر أصحابها

و "خاسرة" أي كاذبة باطلة ليست بكائنة

والمعنى أنها إن صحت فنحن إذاً خاسرون لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم.

﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣﴾ : أي لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز و جل فإنها سهلة هينة في قدرته، فإن البعث بعد الموت أمر ممكن لا محال فيه، و قدرته جل و عز متعلقة بكل ممكن على حد السواء

﴿ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾ : فإذا هم أحياء على وجه الأرض بعد ما كانوا أمواتاً في بطنها، والساهرة الأرض البيضاء المستوية سميت بذلك لأن السراب يجري فيها من قولهم: عين ساهرة للتي يجري ماؤها وفي ضدها نائمة، أو لأن سالكها يسهر خوفاً وقيل اسم لجهنم.

و قيل: اسم لأرض بالشام قريبة من بيت المقدس.

و قال ابن عباس: هي أرض من فضة لم يعص الله جل ثناؤه عليها قط

و قيل: هي اسم الأرض السابعة

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ١٦ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ١٧ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ١٩ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ٢١ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ٢٥ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ٢٦﴾

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥﴾ : أي أليس قد أتاك حديث فرعون الذي كان أقوى من كفار عصرك يا محمد فيسليك على تكذيب قومك وتهددهم عليه بأن يصيبهم مثل ما أصاب من هو أعظم منهم.

و الاستفهام يتضمن التنبيه على أن هذا مما يجب أن يشيع، و يتضمن أيضا التشريف للمخاطب به

﴿إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾ المبارك المطهر ﴿طُوًى ١٦﴾ : اسمه طوى وهو واد في أرض سيناء

﴿ٱذۡهَبۡ﴾ يا موسى ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ١٧﴾ : أي جاوز الحد في الكفر و الفساد

﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ﴾ أي هل تميل إلى و هل ترغب في ؟ ﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨﴾ : أن تتطهر من الكفر والطغيان و الذنوب بالطاعة و الإيمان

و عن الضحاك عن ابن عباس: هل لك أن تقول لا إله إلا الله

﴿وَأَهۡدِيَكَ﴾ أي أرشدك إلى طاعة ربك، فالهداية هداية إرشاد ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾إلى معرفة ربك بصفات أذكرها لك حتى تقر بربوبيته ﴿فَتَخۡشَىٰ ١٩﴾ : فتخافه و تتقيه و تطيعه و

تعبده،

فَتَخْشى بأداء الواجبات وترك المحرمات، إذ الخشية إنما تكون بعد المعرفة، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [سورة فاطر:٣٩]

﴿ فَأَرَىٰهُ ﴾ أي فذهب موسى فأراه ﴿ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ : أي العلامة العظمى وهي المعجزة، وهي قلب العصا حية فإنه كان المقدم والأصل، أو مجموع معجزاته فإنها باعتبار دلالتها كالآية الواحدة

و المعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد النبي مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة تنزل منزلة قوله عز و جل "صدق عبدي في كل ما يبلغ عني"

﴿ فَكَذَّبَ ﴾ و ادعى أن موسى ساحرا ﴿ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾: ربه عز و جل و بأن الطاعة قد وجبت عليه

﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾ : قيل أدبر عن الطاعة، و قيل أدبر أي تولى يبحث عن مكائد يكيد بها لموسى نكاية فيه حتى يظهره ساحرا كذابا أمام قومه، لأنه خشي أن يفتنهم عن آلهتهم و أن يستولي على ملكه

و قيل: أدبر خائفا لما رأى الثعبان مرعوبا يسرع في مشيته

﴿ فَحَشَرَ ﴾ جمع السحرة للمعارضة و الجند للمحاربة و الناس للمشاهدة ﴿ فَنَادَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ : في المقام الذي اجتمعوا فيه بصوت عال

﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ : قيل: كلمته الأولى في مخاطبته لقومه كانت "(ما علمت لكم من إله غيري)" [سورة القصص] و كلمته الأخيرة هي ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾

﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ﴾ أخذا منكلاً لمن رآه، بالإغراق في الدنيا و بالإحراق في الآخرة ﴿ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ۝٢٥ ﴾ : أي كلمته الأولى وهي ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [سورة القصص:٤٩] و كلمته الأخيرة هي ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤ ﴾، قاله ابن عباس و مجاهد و عكرمة.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ قصة موسى و فرعون ﴿ لَعِبْرَةً ﴾ و موعظة ﴿ لِّمَن يَخْشَىٰٓ ۝٢٦ ﴾ : أي يخاف الله عز و جل.

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ۝٢٩ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۝٣١ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝٣٢ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَ لِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٣ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٣٤ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ۝٣٥ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۝٣٦ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١ ﴾

﴿ ءَأَنتُمْ ﴾ يا منكري البعث ﴿ أَشَدُّ ﴾ أصعب ﴿ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ۝٢٧ ﴾: رفعها فوقكم كالبناء

و الاستفهام للتقريع و التوبيخ.

ثم بين كيفية البناء فقال ﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا ﴾ أي جعل مقدار ارتفاعها من الأرض أو ثخنها الذاهب في العلو رفيعاً، جاء في الحديث أن مسيرة خمسمائة عام ﴿ فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨ ﴾ خلقا مستويا لا تفاوت في و لا شقوق، و لا فطور، و تمما بما يتم به كمالها من الكواكب والتداوير وغيرها من قولهم: سوى فلان أمره إذا أصلحه.

و استواء الشيء تمامه و كماله.

﴿ وَأَغۡطَشَ ﴾ أي أظلم ﴿ لَيۡلَهَا ﴾ جعله مظلما، وإنما أضافه إليها لأنه يحدث بحركتها ﴿ وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ٢٩ ﴾ : أي أبرز ضوء شمسها كقوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ١ ﴾ [سورة الشمس:٢] يريد النهار.

﴿ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠ ﴾ : أي بسطها ومهدها للسكنى، و ليس فيه دليل على عدم كرويتها.

و قيل: دحيها حرثها و شقها، قاله ابن زيد.

و قيل: مهدها للأقوات، و المعنى متقارب يرجع لتمهيدها و تهيئتها للسكنى.

ثم فسر البسط و الدحي فقال ﴿ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا ﴾ بتفجير العيون و فلق البحار ﴿ وَمَرۡعَىٰهَا ٣١ ﴾: موضع الرعي، أراد ما يُرعى.

قال الزمخشري: و استعير الرعي للإنسان كما استعير الرتع في قوله تعالى ﴿ يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ ﴾ [سورة يوسف:٢٣]

﴿ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ٣٢ ﴾ : نصبها و أثبتها فيها أوتادا لها

﴿ مَتَٰعٗا ﴾ تمتيعا و منفعة ﴿ لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٣ ﴾: منفعة ذلك الدحي و التمهيد منفعته واصلة للإنسان و للأنعام من الإبل و البقر و الغنم.

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٣٤ ﴾ : أي الداهية العظمى التي تطم أي تعلو على سائر الدواهي وهي النفخة الثانية، قاله ابن عباس في رواية الضحاك عنه، و قاله الحسن البصري.

و قيل الساعة التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، قاله القاسم بن الوليد الهمداني، و مجاهد، و الثوري.

و قيل: القيامة، قاله الضحاك.

﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ ﴾ : ما عمل من خير و شر، بأن يراه مدوناً في صحيفته وكان قد نسيه من فرط الغفلة أو طول المدة

﴿ وَبُرِّزَتِ ﴾ أظهرت ﴿ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ : لكل راء بحيث لا تخفى على أحد.

قال ابن عباس: يكشف عنها فيراها تتلظى كل ذي بصر.

و قيل: المراد الكافر لأنه الذي يرى النار بما فيها من أصناف العذاب.

و قيل: يراها المؤمن ليعرف قدر النعمة.

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ ﴾ : نزلت في النضر و ابنه الحارث، وهي عامة في كل كافر آثر الحياة فانهمك فيها ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس.

﴿ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ : مرجعه و منزله.

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ ﴾ أي علم أن له موقفا بين يدي ربه يحاسب فيه لعلمه بالمبدأ والمعاد. ﴿ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ ﴾ الأمارة بالسوء ﴿ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ : أي زجرها عن اتباع الشهوات و ضبطها بالصبر و التوطين على إيثار الخير..

قيل: هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه يوم الحساب فيتركها لوجه الله و يقلع عنها.

قال ابن مسعود: أنتم في زمان يقود الحق الهوى، و سيأتي زمان يقود الهوى الحق، فنعوذ بالله من ذلك الزمان.

﴿ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ : المرجع و المنزل.

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ۝٤٢﴾ : أي متى إرساؤها يعني إقامتها وإثباتها، أو منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة وهو حيث تنتهي إليه وتستقر فيه.

قال ابن عباس: سأل مشركو مكة رسول الله صلى الله عليه و سلم متى تكون الساعة استهزاءً، فأنزل الله هذه الآية.

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ۝٤٣﴾ : ذلك أن النبي كان يسأل عنها كثيرا، لأن مشركي مكة ألحوا عليه السؤال

فمعنى الآية: في أي شيء أنت من أن تذكر وقتها لهم أي ما أنت من ذكرها لهم، وتبيين وقتها في شيء فإن ذكرها لا يزيدهم إلا غياً. ووقتها مما استأثره الله تعالى بعلمه .

وقيل فِيمَ إنكار لسؤالهم وأَنْتَ مِنْ ذِكْراها مستأنف، ومعناه أنت ذكر من ذكرها أي علامة من أشراطها، فإن إرساله خاتماً للأنبياء أمارة من أماراتها.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۝٤٤﴾ : أي منتهى علمها؛ لم يؤت علمها أحدا من خلقه، فهي من مفاتيح الغيب التي استأثر الله بها علمه.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ۝٤٥﴾ : أي مخوف، و خص الإنذار بمن يخشى لأنهم المنتفعون به.

و المعنى: أي أنك لم تبعث يا محمد لتعلمهم بوقت الساعة، إنما بعثت لتنذر من أهوالها من يخاف شدائدها، وهو لا يناسب تعيين الوقت.

﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا﴾ أي الكافرين عندما يرون الساعة ﴿لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ﴾في الدنيا، و قيل: في القبور ﴿إِلَّا عَشِيَّةً﴾ أي مقدار و زمن عشية ﴿أَوۡ ضُحَىٰهَا ۝٤٦﴾ : أي مقدار و زمن الضحى.

كقوله ﴿ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۚ ﴾ [سورة الأحقاف:٤٦] ولذلك أضاف الضحى إلى ال عَشِيَّةً لأنهما من يوم واحد.

عن النبي صلّى الله عليه وسلم: من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه الله في القيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة المكتوبة.

انتهى تفسير سورة النّازعات و لله الحمد.

سورة عبس وهي مكية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ١٠﴾

﴿عَبَسَ﴾ أي كلح بوجهه، و الضمير راجع للنبي صلى الله عليه و سلم: ﴿وَتَوَلَّىٰٓ ١﴾ أعرض

روي: أن ابن أم مكتوم و كان أعمى أتى رسول الله صلّى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم إلى الإسلام، فقال: يا رسول الله علمني مما علمك الله، وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم، فكره رسول الله صلّى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت، فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلم يكرمه ويقول إذا رآه: مرحباً بمن عاتبني فيه ربي، واستخلفه على المدينة مرتين.

﴿أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢﴾ : أي لما جاءه الأعمى، أو لمجيء الأعمى، وهو عبد الله بن أم مكتوم كما سبق

وذكر الأعمى للإشعار بعذره في الإقدام على قطع كلام رسول الله صلّى الله عليه وسلم بالقوم والدلالة على أنه أحق بالرأفة والرفق، أو لزيادة الإنكار

*مسألة:

قال القرطبي: قال علماؤنا: ما فعله ابن أم مكتوم كان من سوء الأدب لو كان عالما بأن النبي صلى الله عليه و سلم مشغول بغيره و أنه يرجو إسلامهم

و لكن الله تبارك و تعالى عاتبه حتى لا تنكسر قلوب أهل الصفة

أو ليعلم أن المؤمن الفقير خير من الغني

و كان النظر إلى المؤمن أولى و إن كان فقيرا أصلح و أولى من الأمر الآخر و هو الإقبال على الأغنياء طمعا في إيمانهم، و إن كان ذلك أيضا نوع من المصلحة

و قيل: إنما قصد النبي صلى الله عليه و سلم تأليف الرجل ثقة بما كان في قلب ابن أم مكتوم من الإيمان.

﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ ﴾ : وأي شيء يجعلك دارياً بحال هذا الأعمى لعله يتطهر من الآثام بما يتلقف منك من الشرائع.

وفيه إيماء بأن إعراضه كان لتزكية غيره.

﴿ أَوۡ يَذَّكَّرُ ﴾ يتعظ بما تقول ﴿ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ ﴾ : أي الموعظة.

و المعنى: أنك لا تدري ماهو مترقب منه من تزك أو تذكر، و لو دريت لما فرط ذلك منك.

﴿ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ ﴾ : من كان غنيا بالمال و كان ذا ثروة.

﴿ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ ﴾ : تتعرض بالإقبال عليه، و ليس عليك بأس في ألا يتزكى بالإسلام حتى يبعثك الحرص على إسلامه إلى الإعراض عمن أسلم.

﴿ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ ﴾ : أي لا يهتدي هذا الكافر و لا يؤمن، إنما أنت رسول، ما عليك إلا البلاغ.

﴿ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ ﴾ : يسرع في طلب الخير، و يطلب العلم لله.

﴿ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ ﴾ : و يخاف الله.

و قيل: يخشى عليك منهم، أي أذى الكفار لك في إتيانك لهم.

و قيل: يخشى الكبوة و السقوط كعادة العميان الذين لا قائد لهم في الطريق.

﴿ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ : من لهي عنه أي تشاغل، أي فأنت تعرض عنه بوجه و تشتغل بغيره.

*قال الزمخشري: فإن قلت: قوله ﴿ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ ﴾ و قوله ﴿ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ كأن فيه اختصاصا !

قلت: نعم و معناه إنكار التصدي و التلهي عليه، أي مثلك خصوصا لا ينبغي له أن يتصدى للغني و يتلهي عن الفقير.

﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾

﴿ كَلَّآ ﴾ للردع، و عدوا ما فعله النبي صلى الله عليه و سلم خلاف الأولى ﴿ إِنَّهَا ﴾ السورة و الآيات ﴿ تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ ﴾: موعظة يجب الاتعاظ بها و العمل بموجبها.

قال الجرجاني: "إنها" أي القرآن، و القرآن مذكر إلا أنه لما جعل القرآن تذكرة، أخرجه على لفظ التذكرة، و لو ذكره لجاز.. و يدل على أن أراد القرآن قوله ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ ﴾ أي اتعظ بالقرآن.

و روى الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ ﴾ قال من شاء الله تبارك و تعالى ألهمه.

﴿ فِى صُحُفٍ ﴾ : صفة لتذكرة، أي أنها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح المحفوظ

﴿ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ ﴾: عند الله، قاله السدي.

و قال الطبري: في الدين لما فيها من العلم و الحكم.

و قيل: لأنها نزل بها كرام الحفظة.

و قيل: لأنها نزلت من كريم، لأن كرامة الكتاب من كرامة صاحبه.

﴿ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ : القدر و المنزلة، فمرفوعة بمعنى رفيعة.

و قيل: مرفوعة في السماء السابعة.

و قيل: مرفوعة عن الشبه و التناقض.

﴿ مُّطَهَّرَةٍ ١٤ ﴾ : عن مس غير الملائكة، منزهة عن أيدي الشياطين.

و قيل: مطهرة عما ليس من كلام الله تعالى.

و قيل: من الدنس، قاله الحسن البصري.

و قيل: مصانة عن أن ينالها الكفار، وهو معنى قول السدي.

﴿ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ١٥ ﴾ : كتبة من الملائكة

أو الأنبياء ينتسخون الكتب من اللوح أو الوحي

أو سفراء يسفرون بالوحي بين الله تعالى ورسله

أو الأمة جمع سافر من السفر

أو السفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المرأة إذا كشفت وجهها.

قال الزجاج: و إنما قيل للكتاب سِفْر لأن معناه أنه يبين الشيء و يوضحه، يقال أسفر الصبح أي أضاء.

﴿ كِرَامٍ ﴾ : على الله، قاله الكلبي.

أو عن المعاصي فهم يرفعون أنفسهم عنها، قاله الحسن البصري.

﴿ بَرَرَةٍ ١٦ ﴾: أتقياء، جمع بار، مطيعون لله، صادقون له في أعمالهم.

﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾

﴿ قُتِلَ ﴾ لُعِن أو عُذِّب ﴿ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ : الكافر، دعاء عليه وهي من أشنع دعوات العرب.

روى الضحاك عن ابن عباس: أنها نزلت في عتبة بن أبي لهب، و كان قد آمن، فلما نزلت ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ ﴾ [سورة النجم:1] ارتد!

﴿ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾: استفهام للتوبيخ، و تعجب من إفراطه في كفران نعمة الله، و لا ترى أسلوبا أغلظ منه، ولا أخشن مسا، ولا أدل على سخط، ولا أبعد شوطا في المذمة، مع تقارب طرفيه، ولا أجمع للأئمة على قصر متنه.

فهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ.

﴿ مِنْ أَيِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ : أي من أي شيء خلق الله هذا الكافر فتكبر ؟ والاستفهام للتحقير.

﴿ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ : من ماء يسير مهين جماد.

﴿ خَلَقَهُۥ ﴾: قال الحسن البصري: كيف يتكبر من خرج من سبيل البول مرتين.

﴿ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾: في بطن أمه، أي هيأه لما يصلح له و يختص به.

﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ﴾ : قيل: سهل له سبيل الخروج من بطن أمه، و قيل: بين له سبيل الخير و الشر و الشقاوة و السعادة.

﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ٢١ ﴾ : أي جعل له قبرا يوارى فيه كرامة له و لم يجعله مطروحا كالبهائم على وجه الأرض.

﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ٢٢ ﴾ : أحياه بعد الموت.

وعد الإِماتة والإِقبار في النعم لأن الإِماتة وصلة في الجملة إلى الحياة الأبدية واللذات الخالصة والأمر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع، وفي "إِذا شاءَ" إشعار بأن وقت النشور غير متعين في نفسه، وإنما هو موكول إلى مشيئته تعالى.

﴿ كَلَّا ﴾ ردع و زجر عن الكفر ﴿ لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ٢٣ ﴾ : لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ لم يقض بعد من لدن آدم إلى هذه الغاية ما أمره الله بأسره، إذ لا يخلو أحد من تقصير ما.

و عن ابن عباس: لم يف بالميثاق الذي أخذ عليه في صلب آدم.

﴿ فَلۡيَنظُرِ ﴾ نظر القلب بالفكر ﴿ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤ ﴾: الذي يعيش به كيف دبرنا أمره، إتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية.

﴿ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ٢٥ ﴾ : استئناف مبين لكيفية إحداث الطعام، يعني المطر من السحاب.

﴿ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ٢٦ ﴾ : بالنبات، أو بالحرث و إثارة الأرض للزرع.

﴿ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ ﴾ : قمحا و شعيرا و سلتا و سائر ما يحصد و يدخر.

﴿ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ ﴾ : يعني الرطبة سميت بمصدر قضبه إذا قطعه لأنها تقضب مرة بعد أخرى.

﴿ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠ ﴾ : جمع غلباء، غلاظ الأشجار، عظام الأوساط و الجذوع، و عن مجاهد: ملتفة.

﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ٣١ ﴾ : ما تأكله البهائم من العشب، قال ابن عباس و الحسن البصري: الأب كل أنبتت الأرض مما لا يأكله الناس.

و في الآية الأثر عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أي سماء تظلني و أي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم.

﴿ مَّتَٰعًا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٢ ﴾ : منفعة لكم و لأنعامكم، فإن الأنواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف.

و يتضمن هذا الإخبار الامتنان عليهم بما أنعم به.

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ٣٣ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٍٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ٣٨ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ٣٩ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ٤٠ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ٤١ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ٤٢ ﴾

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ٣٣ ﴾ : صيحة القيامة لأنها تصخ الآذان أي تصمها، وهي النفخة الثانية.

لما ذكر أمر المعاش ذكر أمر المعاد، ليتزودوا له بالأعمال الصالحة و بالإنفاق مما امتن به عليهم.

﴿ يَوۡمَ يَفِرُّ ﴾ أي يهرب ﴿ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ ﴾ أي زوجته ﴿ وَبَنِيهِ ٣٦ ﴾ : لاشتغاله بشأنه وعلمه بأنهم لا ينفعونه، و لما تبين من عجزهم و قلة حيلتهم.

أو للحذر من مطالبتهم بما قصر في حقهم وتأخير الأحب فالأحب للمبالغة كأنه قيل: يفر من أخيه بل من أبويه بل من صاحبته وبنيه.

قال الحسن البصري: أول من يفر يوم القيامة من أبيه: إبراهيم، و أول من يفر من ابنه: نوح، و أول من يفر من امرأته: لوط.

قيل: و قابيل من أخيه هابيل.

﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾ : قال النبي صلى الله عليه و سلم "يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا" قالت أمنا عائشة رضي الله عنها: "يا رسول الله! الرجال و النساء جميعا ينظر بعضهم إلى بعض ؟" قال: "يا عائشة، الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض"

و في قراءة "لكل امرئٍ منهم يومئذ شأن يعنيه" أي يهمه.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨﴾ : مضيئة متهللة مشرقة من إسفار الصبح.

وهي وجوه المؤمنين لما علموا ما لهم من الفوز و النعيم.

و قيل في سبب الإضاءة: أنه من آثار الوضوء.

و قيل: من قيام الليل، قاله ابن عباس.

و قيل: من طول ما اغبرت في سبيل الله.

﴿ضَاحِكَةٌ﴾ : مسرورة فرحة.

﴿مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩﴾: لما ترى من النعيم و بما آتاها الله من الكرامة.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠﴾ : غبار وكدورة.

﴿تَرْهَقُهَا﴾ : تغشاها.

﴿قَتَرَةٌ ۝٤١﴾ : سواد كالدخان، و لا ترى أوحش من اجتماع الغبرة و السواد في الوجه.

و عن ابن عباس: ذلك و شدة.

قال الزمخشري: و كأن الله عز و جل يجمع إلى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور إلى الكفر.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ٤٢﴾ : الكفرة في حقوق الله الفجرة في حقوق العباد.

قال النبي صلّى الله عليه وسلم: "من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر"

انتهى تفسير سورة عبس و لله الحمد.

سورة التكوير وهي مكية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ٧﴾

﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١﴾: من كورتُ العمامة إذا لففتها، بمعنى رفعت لأن الثوب إذا أريد رفعه لف، و المعنى لُف ضوؤها فذهب انبساطه في الآفاق وزال أثره.

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢﴾ : أي تهافتت و تناثرت.

و قال أبو عبيدة: انصبت و انقضّت كما تنصب العقاب إذا انكسرت.

و قيل: تساقطت، و يروى أن الشمس و النجوم تطرح في جهنم ليراها من عبدها.

و قيل: أظلمت من كدرت الماء فانكدر.

﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ٣﴾ : قُلعت عن وجه الأرض أو في الجو تسيير السحاب .

و قيل: تحولها عن منزلة الحجارة فتكون كثيبا مهيلا أي رملا سائلا و هباء منثورا، و تعود الأرض قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا و لا أمتا.

﴿وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ﴾ : جمع عشراء وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر، ثم هو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة، و إنما خصها بالذكر لأنها أنفس ما يكون عند العرب و أعزها عليهم.

﴿ عُطِّلَتۡ ٤﴾: أُهملت، تركت مهملة، لاشتغال أهلها بأنفسهم.

و قيل في تفسير الآية: أنها السحائب عطلت عن المطر.

و قيل: الديار تعطل فلا تسكن.

و قيل: الأرض تعطل فلا تزرع.

و الأول أشهر و عليه الجمهور.

﴿وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ۝٥﴾ : جمعت من كل ناحية، و الحشر الجمع.

و قال ابن عباس: حشرها موتها.

و حشر كل شيء الموت إلا الجن و الإنس، فإنهما يوفيان يوم القيامة.

﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦﴾ : من سجر التنور إذا ملأه بالحطب، أي فجر بعضها إلى بعض حتى تعود بحرا واحدا.

و قيل: ملأت نيرانا تضطرم لتعذيب أهل النار.

و قيل: يذهب ماء البحار فلا تبقى فيها قطرة.

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧﴾ : قيل: يقرن الفاجر مع الفاجر و الصالح مع الصالح.

و قيل: تقرن الأرواح بالأجساد.

و قيل: تقرن النفس بكتابها و عملها.

و قيل: نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين.

و قيل: هو قوله تعالى ﴿وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ۝٧﴾ [سورة الواقعة:7] السابقون و أصحاب اليمين و أصحاب الشمال.

و قيل: هو قوله تعالى ﴿۞ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ۝٢٢﴾ [سورة الصافات:٢٢] فيضم كل رجل إلى من كان يلزمه من ملك و سلطان.

و قيل: ألحق كل امرئ بشيعته اليهود باليهود و النصارى بالنصارى و المجوس بالمجوس..

و قيل: يقرن الغاوي بمن أغواه من شيطان أو إنسان، على جهة البغض و العداوة، و يقرن المطيع بمن دعاه إلى الطاعة من الأنبياء و المؤمنين.

﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤ ﴾

﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ ﴾ : المدفونة الحية، كانت العرب تئد البنات خشية الفرق و خوف الاسترقاق.

و قيل: الحامل على ذلك الخوف من لحوق العار بهم من أجلهن، و كانوا يقولون: إن الملائكة بنات الله فألحقوا البنات به فهو أحق بهن.

﴿ سُئِلَتْ ۝٨ ﴾ : قال الزمخشري: فإن قلت: فما معنى سؤال الموءودة عن ذنبها الذي قتلت به ؟ و هلا سئل الوالد عن موجب قتله لها ؟

قلت: سؤالها و جوابها تبكيت لقاتلها. ا.هـ.

كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة المائدة:٢٢٧]

﴿ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ ﴾ : و قد كان ذوو الشرف من العرب يمتنعون من هذا و يمنعون منه، حتى افتخر به الفرزدق و قال:

*و منا الذي منع الوائدات *** فأحيا الوئيد فلم يوأد*

و فيه دليل على أن أطفال المشركين لا يعذبون، و على أن التعذيب لا يستحق إلا بذنب.

﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ ﴾ : يعني صحف الأعمال فإنها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب.

وقيل: نُشِرَتْ فرقت بين أصحابها.

و قيل: فتحت بعد أن كانت مطوية، تطوى بالموت و تنشر في يوم القيامة.

﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴾ ١١ : كشفت و أزيلت.

قال الزجاج: قلعت كما يقلع السقف.

و قيل: تطوى كما قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ ﴾ [سورة الأنبياء:١٠٤] فكأن المعنى: قلعت فطويت.

﴿ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ﴾ ١٢ : أضمرت و أحميت و أوقدت إيقادا شديدا.

قيل: سعرها غضب الله و خطايا بني آدم.

و غضب الله: إرادته تعذيب العاصي.

﴿ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ﴾ ١٣ : قربت من المؤمنين و أدنيت من المتقين.

قال الحسن البصري: إنهم يقربون منها، لا أنها تزول عن موضعها.

و قيل: أزلفت أي زينت، قاله عبد الرحمن بن زيد.

﴿ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ ﴾ أي كل نفس ﴿ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴾ ١٤: جواب ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴾ ١ [سورة التكوير:١] و ما بعدها مما دخل تحت الشرط "إذا".

والمذكور في سياقها اثنتا عشرة خصلة ست منها في مبادئ قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده، لأن المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على أعمالها.

و "مَا أَحْضَرَتْ" أي من الخير و الشر.

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١ ﴾

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ ﴾ لا زائدة ﴿ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ﴾ : من خنس إذا تأخر.

أي فلا أقسم بالكواكب الرواجع وهي ما سوى النيرين من الكواكب السيارات.

﴿ ٱلۡجَوَارِ ﴾ : أي السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس

﴿ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ ﴾: الغُيّب من كنس الوحش إذا دخل كناسه، وهو بيته المتخذ من أغصان الشجر.

وهي الكواكب الخمسة الدراري: زحل و المشتري و عطارد و المريخ و الزهرة.

وهو مروي عن علي كرم الله وجهه.

و في تخصيصها بالذكر من بين سائر النجوم وجهان:

لأنها تستقبل الشمس، قال بكر بن عبد الله المزني.

لأنها تقطع المجرة، قاله ابن عباس.

و قيل: الخنس بقر الوحش، و الكنس الظباء، قاله ابن مسعود.

قال القرطبي: و الأصح الحمل على النجوم أي الكواكب، لذكر الليل و الصبح بعد هذا، فذكر النجوم أليق بذلك.

و لله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته من حيوان و جماد، و إن لم نعلم وجه الحكمة في ذلك.

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ ﴾ : أقبل ظلامه أو أدبر وهو من الأضداد.

قال الفراء: أجمع المفسرون على أن عسعس بمعنى أدبر، حكاه الجوهري.

قال الماوردي: و أصل العس الامتلاء، و منه قيل للقدح الكبير عس لامتلائه بما فيه، فأطلق على إقبال الليل لابتداء امتلائه و أطلق على إدباره لانتهاء امتلائه على ظلامه.

﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ ﴾ : امتد ضوءه.

قال الزمخشري: فإن قلت: ما معنى تنفس الصبح ؟

قلت: إذا أقبل الصبح أقبل بإقباله روح و نسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز. ا.هـ.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩﴾ : جبريل عليه السلام فإنه قاله عن الله تعالى.

و المعنى: إنه لقول رسول عن الله كريم على الله.

و هذا جواب القسم.

﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ : أي ذي قدرة على ما يكلف به لا يعجز عنه و لا يضعف.

قال ابن عباس: من قوته قلعه مدائن قوم لوط بقوادم جناحه.

﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ﴾: عند الله جل ثناؤه.

﴿مَكِينٖ ٢٠﴾ : ذي مكانة و منزلة و جاه، و لما كانت حال المكانة على حسب حال

الممكن قال ﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ﴾ ليدل على عظم منزلته و مكانته.

﴿مُّطَاعٖ﴾ : من طاعة الملائكة لجبريل.

﴿ثَمَّ﴾ : إشارة إلى الظرف المذكور أعني عند العرش على أنه عند الله مطاع في ملائكته

المقربين يصدرون عن أمره و يرجعون إلى رأيه.

﴿أَمِينٖ ٢١﴾ : على الوحي.

وقرئ "ثُمَّ" تعظيماً للأمانة وتفضيلاً لها على سائر الصفات.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ٢٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ٢٥ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ٢٦ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾

﴿ وَمَا صَاحِبُكُم ﴾ محمدا صلى الله عليه و سلم ﴿ بِمَجۡنُونٖ ٢٢ ﴾ : كما تبهته و تزعمه الكفرة.

ذلك أنه لما رأى النبي صلى لله عليه و سلم جبريل على صورته و قد سد الأفق له ستمائة جناح، خر صلى الله عليه و سلم مغشيا عليه، فقال المشركون: إنه مجنون.

﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ٢٣ ﴾ : بمطلع الشمس الأعلى.

قال الماوردي: فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه رآه في السماء الشرقي، قاله سفيان الثوري.

الثاني: في أفق السماء الغربي، قاله ابن شجرة.

الثالث: أنه رآه نحو أجياد، وهو مشرق مكة، قاله مجاهد.

﴿ وَمَا هُوَ ﴾ أي وما محمد عليه الصلاة والسلام ﴿ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ ﴾ على الوحي

﴿ بِضَنِينٖ ٢٤ ﴾ : أي بمتهم، و الظنة بكسر الظاء: التهمة.

و قرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بِضَنِينٍ بالضاد بضنين من الضن وهو البخل أي أي لا يبخل بالتبليغ والتعليم.

قال الزمخشري: و إتقان الفصل بين الضاد و الظاء واجب و معرفة مخرجيهما مما لا بد منه للقارئ.

﴿ وَمَا هُوَ ﴾ أي القرآن ﴿ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ٢٥ ﴾: أي مرجوم ملعون كما قالت قريش.

أو و ماهو بقول بعض المسترقة للسمع و بوحيهم إلى أوليائهم من الكهنة.

و قال عطاء: يريد الشيطان الأبيض الذي كان يأتي النبي صلى الله عليه و سلم في صورة جبريل يريد أن يفتنه.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ : استضلال لهم فيما يسلكونه في أمر الرسول صلّى الله عليه وسلم والقرآن، كقولك لتارك الجادة: أين تذهب.

قال قتادة: فإلى أين تعدلون عن هذا القول و عن طاعته ؟

و قال الزجاج: فأي طريقة تسلكون أبين من هذه الطريقة التي بينت لكم.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ : ما القرآن إلا موعظة و تذكير لمن يعلم.

﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ : بتحري الحق وملازمة الصواب وإبداله من العالمين لأنهم المنتفعون بالتذكير.

قال أبو جهل: الأمر إلينا إن شئنا استقمنا و إن شئنا لم نستقم، و هذا هو القدر، و هو رأس القدرية، فنزلت:

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ : إلا وقت أن يشاء الله مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم.

﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾مالك الخلق كله.

قال عليه الصلاة والسلام: "من قرأ سورة التكوير أعاذه الله أن يفضحه حين تنشر صحيفته."

انتهى تفسير سورة التكوير و لله الحمد.

سورة الانفطار وهي مكية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ٤ عَلِمَتۡ نَفۡسٌ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ٥﴾

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١﴾ : انشقت و تشققت بأمر الله، لنزول الملائكة، لقوله تعالى:

﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ٢٥﴾ [سورة الفرقان:٣٦]

و قيل: تنفطرت لهيبة الله تعالى.

﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ٢﴾ : تساقطت متفرقة.

﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ٣﴾ : فتح بعضها إلى بعض فاختلط العذب بالمالح و زال البرزخ الذي بينهما، فصارت البحار بحرا واحدا.

و قد تقدم القول فيه في سورة التكوير.

﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ٤﴾ : قُلِب ترابها وأُخرِج موتاها.

و قال قوم منهم الفراء: بعثرت: أخرجت ما في بطنها من الذهب و الفضة، ذلك لما ذكر في الأثر أنه من أشراط الساعة أن تخرج الأرض ذهبها و فضتها.

وقيل: إنه مركب من "بعث" و حرف الراء من "إثارة" كبسمل ونظيره.

﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٌ﴾ : أي كل نفس برة و فاجرة.

﴿مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ٥﴾: أي عند ظهور أشراط الساعة و ختمت الأعمال و أغلق باب التوبة، فإنها لا ينفعها عمل كذلك.

و "مَا قَدَّمَتْ" من عمل و طاعة، و "أَخَّرَتْ" من الأعمال فلم تعمل، أو ما ضيعت في حقوق الله و حقوق العباد.

و قيل "مَا قَدَّمَتْ" من الزكاة و الصدقات، و "أَخَّرَتْ" من التركة و الميراث.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ : خاطب بهذا منكري البعث.

و قال ابن عباس: نزلت في الوليد بن المغيرة.

و قال عكرمة: نزلت في أبي بن خلف.

﴿مَا غَرَّكَ﴾ أي شيء خدعك وجرأك ؟ ﴿بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾

قال الزمخشري: فإن قلت: كيف طابق الوصف بالكرم إنكار الاغترار به و إنما يغتر الكريم ..؟

قلت: معناه أن حق الإنسان ألا يغتر بتكرم الله عليه حيث خلقه حيا لينفعه، و بتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعد ما مكنه و كلفه فعصى و كفر النعمة المتفضل بها أن يتفضل عليه بالثواب و طرح العقاب اغترارا بالتفضل الأول

فإنه منكر خارج من حد الحكمة، و لهذا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لما تلاها: غره جهله، و قال عمر رضي الله عنه: غره حمقه و جهله. ا.هـ.

قال البيضاوي: وذكر الْكَرِيمِ للمبالغة في المنع عن الاغترار فإن محض الكرم لا يقتضي إهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع والعاصي، فكيف إذا انضم إليه صفة القهر والانتقام والإِشعار بما به يغره الشيطان، فإنه يقول له افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب أحداً ولا يعاجل بالعقوبة، والدلالة على أن كثرة كرمه تستدعي الجد في طاعته لا الانهماك في عصيانه

اغترارا بكرمه. ا.هـ.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾ قدر خلقك من نطفة ﴿فَسَوَّىٰكَ﴾ أي جعلك مستوي الخلق سالم الأعضاء﴿فَعَدَلَكَ ۝٧﴾: فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه، يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [سورة التين:4]

و قرأ عاصم و حمزة و الكسائي "فعدلك" مخففا، و المعنى: صرفك إلى أي صورة شاء.

و قيل: بمعنى المسدد.

و الآية صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على أن من قدر على ذلك أولاً قدر عليه ثانياً.

﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ : أي ركبك في أي صورة اقتضتها مشيئته.

﴿كَلَّا﴾ ردع عن الغفلة عن الله أو عن الاغترار بكرمه ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ﴾ إضراب إلى بيان ما هو السبب الأصلي في اغترارهم ﴿بِٱلدِّينِ ۝٩﴾ : أي بالجزاء و الحساب و البعث، و قيل: بالإسلام.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠﴾ : لأعمالكم و أقوالكم من الملائكة.

و اختلفوا في الكفار هل عليهم حفظة أم لا ؟

فقال بعضهم: لا، لأن أمرهم ظاهر، و عملهم واحد.

و قيل: بل عليهم حفظة.

و تعلم الملائكة أن العبد قد هم بالحسنة إذا وجدوا منه ريح المسك، و ريح النتن إذا هم بالسيئة.

و لا تفارقه إلا عن الغائط و الجماع.

﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ : تحقيق لما يكذبون به.

لا يخفى عليهم شيء من أعمالكم.

و كان الفضيل إذا قرأ هذه الآيات قال: ما أشدها من آية على الغافلين.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩﴾

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣﴾ : تقسيم مثل قوله تعالى: ﴿ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾ [سورة الشورى:٨] و المعنى إن المؤمنين لفي جنة النعيم.

﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤﴾ : أي لفي النار، بيان لما يكتبون لأجله.

﴿يَصْلَوْنَهَا ﴾ : أي يصيبهم لهبها و حرها.

﴿ يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝١٥﴾: يوم الجزاء و الحساب، كرر ذكره تعظيما لشأنه، كقوله تعالى:

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾ [سورة القارعة]

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦﴾ : لخلودهم فيها، كقوله تعالى: ﴿هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ﴾ [سورة المائدة:37]

وقيل معناه وما يغيبون عنها قبل ذلك إذ كانوا يجدون سمومها في القبور.

قال الزمخشري: أخبر الله في هذه السورة أن لابن آدم ثلاث حالات:

حال الحياة التي يحفظ فيها عمله

و حال الآخرة التي يجازى فيها

و حال البرزخ وهو قوله تعالى ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦﴾

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ﴾ : تعجيب وتفخيم لشأن ال يَوْمُ، أي كنه أمره بحيث لا تدركه دراية دار.

قال ابن عباس: كل شيء من القرآن من قوله ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ ﴾ فقد أدراه، و كل شيء من قوله ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ ﴾ فقد طُوي عنه.

﴿ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ ﴾ : كرر التأكيد للتهويل.

﴿ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ : لا تستطيع دفعا عنها و لا نفعا لها بوجه، و إنما تملك الشفاعة بالإذن.

﴿ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩ ﴾: لا ينازعه فيه أحد.

تقرير لشدة هوله وفخامة أمره إجمالاً.

عن النبي صلّى الله عليه وسلم: "من قرأ سورة إذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة، وبعدد كل قبر حسنة."

انتهى تفسير سورة التكوير و لله الحمد.

سورة المطففين وهي آخر ما نزل بمكة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ٧ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ٨ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٩﴾

﴿وَيۡلٞ﴾ : دعاء بالهلاك و شدة العذاب في الآخرة.

و قال ابن عباس: واد في جهنم يسيل فيه صديد أهل النار.

﴿لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١﴾ : التطفيف البخس في الكيل والوزن لأن ما يبخس طفيف أي حقير.

فالمطففون هم الذين ينقصون مكاييلهم و موازينهم.

روي أن أهل المدينة كانوا أخبث الناس كيلاً أن فلما نزلت هذه السورة و قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم انتهوا، فصاروا أوفى الناس كيلا.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢﴾ : أي إذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية، وإنما أبدل عَلَى بمن للدلالة على أن اكتيالهم لما لهم على الناس، أو اكتيال يتحامل فيه عليهم.

قال الزجاج: و المعنى الدين إذا استوفوا أخذوا الزيادة، و إذا أوفوا أو وزنوا لغيرهم نقصوا، فلا يرضون للناس ما يرضون لأنفسهم.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣﴾: أي كالوا لهم أو وزنوا لهم، فحذفت اللام فتعدى الفعل فنصب، قاله الأخفش و الفراء وهو من كلام أهل الحجاز و من جاورهم من قيس.

و المقصود بيان اختلاف حالهم في الأخذ والدفع، كما سبق.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤﴾ : فإن من ظن ذلك لم يتجاسر على أمثال هذه القبائح، فكيف بمن تيقنه وفيه انكار وتعجيب من حالهم في الاجتراء على التطفيف.

و الظن بمعنى اليقين، أي ألا يوقن أولئك، و لو أيقنوا ما نقصوا في الكيل و الميزان.

﴿لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥﴾ : عظمه لعظم شأنه و ما يكون فيه، وهو يوم القيامة.

﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ : وفي هذا الانكار والتعجيب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم، وقيام الناس فيه لله، والتعبير عنه برب العالمين مبالغات في المنع عن التطفيف وتعظيم إثمه.

﴿كَلَّآ﴾ ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ﴾ صحائف أعمالهم ﴿لَفِي سِجِّينٖ ٧﴾: اختلفوا في سجين:

قيل: إن أرواح الفجار و أعمالهم في سجين، قاله ابن عباس.

و قيل: صخرة تحت الأرض السابعة، قاله مجاهد و كعب الأحبار.

و قيل: هي الأرض السابعة السفلى، فيها إبليس و ذريته، قاله عطاء الخرساني.

و قيل: هو ضرب مثل و إشارة إلى أن الله تعالى يرد أعمالهم التي ظنوا أنها تنفعهم، روي عن مجاهد.

و قيل: جب في جهنم وهو مفتوح، رواه الطبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم

و قيل: لفي سجين أي لفي حبس و ضيق شديد، قاله أبو عبيدة و الأخفش و الزجاج.

و قد جمع الزمخشري بين الأقوال جمعا حسنا فقال:

فإن قلت: قد أخبر الله عن كتاب الفجار بأنه في سجين، وفسر سجينا بكتاب مرقوم، فكأنه قيل: إن كتابهم في كتاب مرقوم، فما معناه: قلت: سِجِّينٍ كتاب جامع هو ديوان الشر: دوّن الله فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الجن والانس، وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة. أو معلم يعلم من رآه أنه لا خير فيه، فالمعنى أن ما كتب من أعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان، وسمى سجينا: فعيلا من السجن، وهو الحبس والتضييق، لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم، أو لأنه مطروح كما روى تحت الأرض السابعة في مكان وحش مظلم، وهو مسكن إبليس وذرّيته استهانة به وإذالة ، وليشهده الشياطين المدحورون، كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقرّبون.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ٨﴾ : أي ليس ذلك مما كنت تعلمه يا محمد أنت و لا قومك.

﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٩﴾ : أي مكتوب كالرقم في الثوب، لا ينسى و لا يمحى.

و قال الضحاك: مرقوم أي مختوم بلغة حمير.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ١٧﴾

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ﴾ يوم تفرق الصحف ﴿لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٠﴾ : بالحق.

﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ١١﴾ : بالبعث و الجزاء و الحساب.

صفة مخصصة أو موضحة أو ذامة.

﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ ﴾ متجاوز عن النظر غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه فاستحال منه الإِعادة ﴿ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ ﴾: منهمك في الشهوات المخدجة بحيث أشغلته عما وراءها وحملته على الإنكار لما عداها.

و قيل: معتد على خلق الله في معاملاته، أثيم في ترك أمر الله.

﴿ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا ﴾ أي القرآن ﴿ قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ ﴾: أحاديثهم وأباطيلهم التي كتبوها و زخرفوها.

ذلك لفرط جهله وإعراضه عن الحق فلا تنفعه شواهد النقل كما لم تنفعه دلائل العقل.

﴿ كَلَّاۖ ﴾ ردع للمعتدي الأثيم ﴿ بَلۡۜ ﴾نفي لما قالوا ﴿ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾: بأن غلب عليهم حب المعاصي بالانهماك فيها حتى صار ذلك صدأ على قلوبهم فعمي عليهم معرفة الحق والباطل،. فإن كثرة الأفعال سبب لحصول الملكات كما قال عليه الصلاة والسلام "إن العبد كلما أذنب ذنباً حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه"

والرين الصدأ.

و عليه عامة أهل التفسير و أهل اللغة كما قال القرطبي.

قال أبو معاذ النحوي: الرين أن يسود القلب من الذنوب، و الطبع أن يطبع على القلب و هذا أشد من الرين، و الإقفال أشد من الطبع.

﴿ كَلَّآ ﴾ ردع عن الكسب الرائن للقلب ﴿ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾: فلا يرونه بخلاف المؤمنين.

قال الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه: لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه.

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: لما حجب قوما بالسخط، دل على أن قوما يرونه بالرضا.

قال الزجاج: في هذه الآية دليل على أن الله عز و جل يرى يوم القيامة، و لولا ذلك ما كان

في هذه الآية فائدة.

أما الزمخشري فقد تأول الآية لإنكاره الرؤية، فجعلها تمثيلاً لإِهانتهم بإهانة من يمنع عن الدخول على الملوك، أو قدر مضافاً مثل رحمة ربهم، أو قرب ربهم.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ : ثم بعد كونهم محرومون من رؤية ربهم لداخلون النار ملازمون لها، محترقون فيها، غير خارجين منها.

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ : هذا العذاب الذي كنتم تكذبون به في الدنيا و تنكرون وقوعه، تقوله لهم الزبانية و خزنة جهنم.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿كَلَّآ﴾ ردع عن التكذيب، و قيل: تكرير ليعقب بوعد الأبرار كما عقب الأول بوعيد الفجار إشعاراً بأن التطفيف فجور والإيفاء بر.

﴿إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ صحائف أعمال المطيعين الذين لا يطففون و يؤمنون بالبعث.

﴿لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾: علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة و صلحاء الثقلين، منقول من علي (فعيل) من العلو، سمي به لأنه سبب الارتفاع إلى أعالي الدرجات في الجنة.

و قيل: مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن "الكروبيون" تكريما له.

و قيل: في الجنة.

و قيل: سدرة المنتهى.

و قيل: تحت العرش.

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ ﴾ أي ما الذي أعلمك يا محمد ﴿ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ ﴾ : أي شيء عليون ؟

﴿ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠ ﴾ : سبق الكلام فيه.

﴿ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢١ ﴾ : أي يشهد عمل الأبرار مقربو كل سماء من الملائكة إذا رُفِع.

و قيل: يشهدون على ما فيه يوم القيامة.

﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ ﴾ أهل الصدق و الطاعة ﴿ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢ ﴾: ينعمون في الجنان.

﴿ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ ﴾ على الأسرة في الحجال أي الأراجيح ﴿ يَنظُرُونَ ٢٣ ﴾: إلى ما أعد الله لهم من الكرامات، قاله عكرمة و ابن عباس و مجاهد.

و قيل: ينظرون إلى أهل النار.

و قيل: ينظرون إليه جل جلاله.

﴿ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤ ﴾ : بهجة التنعم و غضارته و نوره.

﴿ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ ﴾ شراب خالص لا غش فيه، قاله الأخفش و الزجاج.

و قيل: الخمر الصافية، و في الصحاح: الرحيق صفة الخمر.

﴿ مَّخۡتُومٍ ٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ ﴾ : تختم أوانيه من الأكواب و الأباريق بمسك بدل الطين الذي يختم به الشراب في الدنيا.

و قيل: أي توجد رائحة المسك آخر جرعة.

﴿ وَفِي ذَٰلِكَ ﴾في الذي وصفناه من أمر الجنة ﴿ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦﴾: أي فليرغب الراغبون و ليتبادر المتبادرون في العمل، و ذا إنما يكون بالمسارعة في الخيرات و الانتهاء عن السيئات.

﴿ وَمِزَاجُهُۥ ﴾ الضمير للرحيق ﴿ مِن تَسْنِيمٍ ٢٧﴾ : علم لعين بعينها سميت تسنيماً لارتفاع مكانها أو رفعة شرابها.

﴿ عَيْنًا ﴾ نصب على المدح ﴿ يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ٢٨﴾ : قيل يشرب منها أهل جنة عدن.

و قال ابن عباس و ابن مسعود رضي الله عنهم: يشرب بها المقربون صرفا لأنهم لم يشتغلوا بغير الله، و تمزج لأصحاب اليمين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ٣٣ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ٣٤﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ ﴾ كفروا و باستهزائهم بالمؤمنين في الدنيا.

﴿ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ٢٩﴾: نزلت في أبي جهل و الوليد بن المغيرة و العاص بن وائل و شيعتهم، كانوا يضحكون من عمار بن ياسر و صهيب و خباب و بلال و غيرهم من فقراء المؤمنين.

﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ٣٠﴾ : يشير بعضهم إلى بعض بالعين طعنا فيهم و عيبا لهم. نزلت في نفر من المنافقين مر بهم علي كرم الله وجهه في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون و ضحكوا و تغامزوا و قالوا: أترون هذا الأصلع ؟

﴿ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ﴾ و أصحابهم و ذويهم ﴿ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١ ﴾ : معجبون بما هم عليه من الكفر، ملتذين بذكر المؤمنين و بالسخرية منهم.

﴿ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ ﴾ و إذا رأى الكافرون المؤمنين﴿ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢ ﴾ : في اتباعهم محمدا أو أن محمدا خدع هؤلاء فضلوا و تركوا اللذات لما يرجونه في الآخرة من الكرامات، فقد تركوا الحقيقة للخيال و هذا هو عين الضلال.

﴿ وَمَآ أُرۡسِلُواْ ﴾ الكفار ﴿ عَلَيۡهِمۡ ﴾ على المؤمنين﴿ حَٰفِظِينَ ٣٣ ﴾: موكلين بهم يحفظون عليهم أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم.

﴿ فَٱلۡيَوۡمَ ﴾ يوم القيامة﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤ ﴾: حين يرونهم أذلاء مغلوبين في النار .

وقيل يفتح لهم باب إلى الجنة فيقال لهم اخرجوا إليها، فَإِذَا وصلوا أغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم.

﴿ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٥ ﴾ : حال، أي يضحكون على الكفار وهم مُتَّكِئُونَ على الأرائك ينظرون.

" هَلْ ثُوِّبَ" أي هل أثيبوا "الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ": على سخريتهم بالمؤمنين في الدنيا ؟

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم "من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة."

انتهى تفسير سورة المطفّفين و لله الحمد.

سورة الانشقاق وهي مكية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ۝٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ۝٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ۝٩﴾

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١﴾ : تصدعت و تشققت بالغمام وهو مثل السحاب الأبيض، كقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ﴾ [سورة الفرقان:٢٦]

وعن علي رضي الله تعالى عنه: تنشق من المجرة.

﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا﴾ : استمعت له، و المعنى أنها فعلت في انقيادها لله حين أراد انشقاقها فعل المطواع الذي إذا ورد عليه الأمر من جهة المطاع أنصت له و أذعن و لم يأب و لم يمتنع، كقوله تعالى: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا﴾ [سورة فصلت:11]

﴿وَحُقَّتۡ ۝٢﴾ : و حق لها أن تسمع، وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال: حق بكذا فهو محقوق وحقيق.

و طاعة السماء: بمعنى أنها لا تمتنع مما أراد الله بها، و لا يبعد خلق الحياة فيها حتى تطيع و يجيب.

﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ۝٣﴾ : بسطت بأن تزال جبالها وآكامها.

كما قال تعالى: ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ۝١٠٧ ﴾ [سورة طه]

﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا ﴾ : رمت بما في جوفها مما دفن فيها من الموتى و الكنوز.

﴿ وَتَخَلَّتْ ۝٤ ﴾: أي خلت غاية الخلو حتى لم يبق شيء في بطنها، كأنها تكلفت أقصى جهدها في الخلو.

و قال سعيد بن جبير: ألقت ما في بطنها من الموتى، و تخلت ممن على ظهرها من الأحياء.

و قيل: ألقت ما استودعت، و تخلت مما استحفظت، لأن الله تعالى استودعها عباده أحياء و أمواتا، و استحفظها بلاده مزارعة و أقواتا.

﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا ﴾ في الإِلقاء والتخلي ﴿ وَحُقَّتْ ۝٥ ﴾: للإِذن وتكرير.

وجواب "إذآ محذوف للتهويل بالإبهام أو الاكتفاء بما مر في سورتي «التكوير» و «الانفطار» أو لدلالة قوله:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ﴾ أي جنس الإنسان ﴿ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا ﴾ الكدح العمل و الكسب، والكدح إليه السعي إلى لقاء جزائه.

و قيل: راجع، رواه الضحاك عن ابن عباس. و "كدحا" أي رجوعا لا محالة .

و قيل: كادح أي ميت.

و الأول أشهر.

﴿ فَمُلَـٰقِيهِ ۝٦ ﴾: أي ملاق ربك، و قيل: ملاق عملك و كدحك.

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ ﴾ : كتاب عمله و صحيفته، وهو المؤمن.

﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ : سهلا هينا لا مناقشة فيه، وهو أن يجازى على الحسنات و يتجاوز عن السيئات .

و في الحديث: "من نوقش الحساب عذب"

﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ ﴾ : من أهل الدنيا إن كانوا مؤمنين.

أو إلى فريق المؤمنين عامة فهم أهله.

أو إلى أهله في الجنة من الحور العين.

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ ﴾

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ ﴾ : أي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره .

قيل تغل يمناه إلى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره، فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره.

و قيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره.

قال قتادة: يفك ألواح صدره و عظامه ثم تدخل يده و تخرج من ظهره.

و الآية نزلت في الأسود بن عبد الأسد أخي أبي سلمة، قاله ابن عباس، ثم هي عامة في كل كافر.

﴿ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ ﴾ : أي يقول: يا ويلاه! يا ثبوراه! و الثبور الهلاك.

﴿ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ : يدخل النار حتى يصلى بحرها.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ ﴾ في الدنيا ﴿ فِيٓ أَهۡلِهِۦ ﴾ مع أهله ﴿ مَسۡرُورًا ١٣﴾: بطراً بالمال والجاه كعادة الفجار الذين لا يهمهم أمر الآخرة و لا يفكرون في العواقب.

﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ١٤﴾ : لن يرجع إلى ربه تكذيبا بالبعث و الحساب.

يقال حار يحور إذا رجع، قال لبيد:

و ما المرء إلا كالشهاب وضوئه *** يحور رمادا بعد إذا هو ساطع

قال ابن عباس: ما كنت أدري: ما يحور ؟ حتى سمعت أعرابية تدعو بنية لها: حورى، أي ارجعي إلي.

﴿ بَلَىٰٓۚ ﴾ إيجاب لما بعد النفي في قوله: لن يحور، أي بلى، يحورون.

﴿ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ ﴾و بأعماله ﴿ بَصِيرًا ١٥﴾: عالماً بأعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦﴾ : الحمرة التي ترى في أفق المغرب بعد الغروب عند عامة العلماء إلا ما يروى عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى: أنه البياض الذي يليها، سمي به لرقته من الشفقة.

﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧﴾ : أي جمع و ضم و لف.

و المراد: ما جمعه من الظلمة و النجم.

و قيل: ما عمل فيه من التهجد و غيره.

﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨﴾ : اجتمع و تم بدرا.

قال ابن عباس: أي استوى.

قال الفراء: امتلاؤه و استواؤه ليالي البدر، وهو افتعال من الوسق وهو الجمع.

﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾ يا أيها الإنسان أي جنسه ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩﴾: حالاً بعد حال مطابقة لأختها في الشدة، وهو لما طابق غيره فقيل للحال المطابقة.

أو مراتب من الشدة بعد المراتب هي الموت ومواطن القيامة وأهوالها

أو هي وما قبلها من الدواهي على أنه جمع طبقة.

أو طَبَقاً من أطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج.

قال القرطبي: و كله مراد و قد جاءت بذلك الأحاديث.

ثم قال: و هذا أدل دليل على حدوث العالم، و إثبات الصانع، قالت الحكما: من كان اليوم على حالة و غدا على حالة أخرى فليعلم أن تدبيره إلى سواه.

و قيل لأبي بكر الوراق: ما الدليل على أن لهذا العالم صانعا ؟

فقال: تحويل الحالات، و عجز القوة، و ضعف الأركان، و قهر النية، و نسخ العزيمة.

﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ۩ ٢١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ٢٢ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۢ ٢٥﴾

﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠﴾ : بيوم القيامة.

و المعنى: أي شيء يمنعهم من الإيمان بعد ما وضحت لهم الآيات و قامت الدلالات، و هذا استفهام إنكار.

و قيل: تعجب: أي عجبوا منهم في ترك الإيمان مع هذه الآيات.

﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ ﴾ : أي لا يصلون، و قيل: لا يخضعون.

و اختلفوا، هل هذه الآية من عزائم السجود ؟

قال مالك: إنها ليست من عزائم السجود، و عن ابن عباس: ليس في المفصل سجدة.

واحتج أبو حنيفة على وجوب السجود بروي: أنه عليه الصلاة والسلام قرأ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ فسجد بمن معه من المؤمنين، وقريش تصفق فوق رؤوسهم فنزلت.

فإنه ذم لمن سمعه ولم يسجد.

﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ : بالبعث و القرآن.

﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ : بما يضمرون في صدورهم من الكفر والعداوة.

و قيل: بما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء و ما يدخرون لأنفسهم من أنواع العذاب.

﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ : أخبرهم خبرا يظهر أثره على بشرتهم، و استهزاء بهم.

﴿ إِلَّا ﴾ استثناء منقطع ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ ﴾ ثواب ﴿ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾ ﴾: غير مقطوع و لا منقوص.

و قيل: مَمْنُونٍ به عليهم.

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "من قرأ سورة الانشقاق أعاذه الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره."

انتهى تفسير سورة الانشقاق و لله الحمد

سورة البروج وهي مكية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧﴾

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١﴾ : في "البروج" أربعة أقوال:

قيل: النجوم، قاله الحسن البصري و قتادة و مجاهد و الضحاك.

و قيل: قصور السماء، قاله ابن عباس و عكرمة.

و قيل: ذات الخلق الحسن، قاله المنهال بن عمرو.

و قيل: البروج الاثني عشر لأنها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت، وهي منازل الكواكب و الشمس و القمر، وهي: الحمل و الثور و الجوزاء و السرطان و الأسد و السنبلة أي العذراء و الميزان و العقرب و القوس و الجد و الدلو و الحوت.

﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢﴾ : يوم القيامة، قال ابن عباس: وُعِد أهل السماء و أهل الأرض أن يجتمعوا فيه.

﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣﴾ : يعني شاهد في ذلك اليوم و مشهود فيه.

قيل: الشاهد الخلائق كلهم، و المشهود عجائب يوم القيامة.

و قيل: الشاهد محمد صلى الله عليه و سلم، و المشهود يوم القيامة.

و قيل: شهادة أمة محمد على سائر الأمم.

و قيل: يوم التروية و يوم عرفة، قاله ابن الزبير و سعيد بن المسيب.

و قيل: يوم عرفة و يوم جمعة، قاله ابن عباس و ابن عمر و علي و أبو هريرة و الحسن

البصري.
و قيل: الحجر الأسود و الحجيج.
و قيل: الليل و النهار و بنو آدم.
و قيل: الحفظة و بنو آدم.
و قيل: الأنبياء و محمد صلى الله عليه و سلم.
و قيل: الشاهد الخلق، شهدوا لله عز و جل بالوحدانية، و المشهود له بالتوحيد هو الله تعالى.
﴿قُتِلَ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤﴾ :دليل جواب محذوف كأنه قيل إنهم ملعونون يعني كفار مكة كما لعن أصحاب الأخدود، فإن السورة وردت لتثبيت المؤمنين على أذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم، والأخدود الخد وهو الشق في الأرض ونحوهما بناء ومعنى الحق والأحقوق.
روي مرفوعاً: أن ملكاً كان له ساحر فلما كبر ضم إليه غلاماً ليعلمه، وكان في طريقه راهب فمال قلبه إليه، فرأى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فأخذ حجراً وقال: اللَّهم إن كان الراهب أحب إليه من الساحر فاقتلها فقتلها، وكان الغلام بعد يبرئ الأكمه والأبرص ويشفي من الأدواء، وعمي جليس الملك فأبرأه، فسأله الملك عمن أبرأه فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه، فدل على الراهب فقده بالمنشار، وأرسل الغلام إلى جبل ليطرح من ذروته، فدعا فرجف بالقوم فهلكوا ونجا، وأجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا، فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتأخذ سهماً من كنانتي وتقول: بسم الله رب هذا الغلام، ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فمات، فآمن الناس برب الغلام، فأمر بأخاديد وأوقدت فيها النيران، فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي: يا أماه اصبري فإنك على الحق فاقتحمت. وعن علي رضي الله تعالى عنه: كان بعض ملوك المجوس خطب الناس وقال: إن الله أحل نكاح الأخوات فلم يقبلوه، فأمر بأخاديد النار فطرح فيها من أبى، وقيل لما تنصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير فأحرق في الأخاديد من لم يرتد.

﴿ٱلنَّارِ﴾ بدل اشتمال من الأخدود ﴿ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ٥﴾ : أي ذاتِ الْوَقُودِ صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها.

﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ٦﴾ : الذين خددوا الأخاديد قعدوا عليها يلقون فيها المؤمنين.

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ٧﴾ : يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنهم لم يقصروا فيما أمروا به، أو يشهدون على ما يفعلون يوم القيامة حين تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم.

﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ١١ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ١٦﴾

﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ٨﴾ : أي و ما عابوا منهم وما أنكروا إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الحَمِيدِ استثناء على طريقة قوله:

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُم *** بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِراعِ الكَتائِبِ

ووصفه بكونه عزيزاً غالباً يخشى عقابه حميداً منعماً يرجى ثوابه.

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ لا شريك له فيهما و لا نديد﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

﴿شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٩﴾: عالم بأعمال خلقه لا تخفى عليه خافية وهو مجازيهم عليه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾ هم أصحاب الأخدود ﴿فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ حرقوهم بالنار و عذبوهم ﴿ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ﴾من قبيح صنعهم مع ما أظهره الله لهذا الملك الجبار الظالم و قومه من الآيات و البينات على يد الغلام﴿فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ١٠﴾: روي أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم.

و الآية عامة في كل من فتن المؤمنين و آذاهم، و أن للفاتنين عذابين في الآخرة لكفرهم و لفتنتهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله و صدقوا برسله ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾و صبروا على تعذيب الأخدود، وهو عام ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتٞ﴾بساتين ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ﴾ من ماء غير آسن و من لبن لم يتغير طعمه و من خمر لذه للشاربين و أنهار من عسل مصفى :

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ١١﴾ الذي لا فوز يشبهه، إذ الدنيا وما فيها تصغر دونه.

﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢﴾ : المراد أخذه الظلمة و الجبابرة بالعذاب و الانتقام.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣﴾ : يُبْدِئُ الخلق ويعيده، أو يُبْدِئُ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الآخرة.

﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ﴾ الساتر للعيوب العافي عن الذنوب ﴿ٱلۡوَدُودُ ١٤﴾: المحب لأوليائه، و قيل: بمعنى المودود بمعنى المحبوب.

﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ خالقه ﴿ٱلۡمَجِيدُ ١٥﴾: العظيم في ذاته وصفاته، فإنه واجب الوجود تام القدرة والحكمة.

﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ : لا يمتنع عليه مراد من أفعاله وأفعال غيره، فيكون فيه دلالة خلق أفعال العباد.

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ ﴾ : أي قد أتاك يا محمد خبر الجموع الطاغية الكافرة المكذبة لأنبيائهم من الأمم الخالية.

﴿ فِرْعَوْنَ ﴾ و آله ﴿ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ ﴾: بدل من الجنود، قد عرفت ما فعل الله بهم حين كذبوا أنبياءه و رسله، فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم مثل ما أصابهم.

﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ من قومك يا محمد ﴿ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ ﴾: لك، كدأب من قبلهم، ومعنى الإضراب أن حالهم أعجب من حال هؤلاء فإنهم سمعوا قصتهم ورأوا آثار هلاكهم وكذبوا أشد من تكذيبهم.

و إنما خص فرعون و ثمود بالذكر، لأن ثمور في بلاد العرب و قصتهم عندهم مشهورة و إن كانوا من المتقدمين.

و أمر فرعون كان مشهورا عند أهل الكتاب و غيرهم، و كان من المتأخرين في الهلاك، فدل بهما على أمثالهما في الهلاك.

﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ ﴾ : عالم بأحوالهم و قادر عليهم و هم لا يعجزونه، و الإحاطة بهم من ورائهم بمعنى أنهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط.

﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾ : بل هذا الذي كذبوا به كتاب شريف وحيد في النظم والمعنى عالي الطبقة في الكتب و في الإعجاز ليس كما يزعمون أن مفترى و أنه أساطير الأولين.

و قيل: مجيد أي غير مخلوق.

﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢﴾ : أي محفوظ عند الله تعالى من وصول الشياطين إليه.

و قيل: عن التغيير و التبديل و التحريف.

و اللوح المحفوظ :

قيل: هو أم الكتاب، و منه انتسخ القرآن و الكتب.

و قيل: فيه أصناف الخلق و الخليقة، و بيان أمورهم و ذكر آجالهم و أرزاقهم و أعمالهم، و الأقضية النافذة فيهم، و مال عواقب أمورهم.

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "من قرأ سورة البروج أعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات."

انتهى تفسير سورة البروج و لله الحمد.

سورة الطارق وهي مكية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾

﴿وَٱلسَّمَآءِ﴾ عظم قدر السماء في أعين الخلق لكونها معدن رزقهم و مسكن ملائكته و فيها خلق الجنة فأقسم بها ﴿وَٱلطَّارِقِ ۝١﴾: الكوكب البادي بالليل وهو في الأصل لسالك الطريق، واختص عرفاً بالآتي ليلاً ثم استعمل للبادي فيه.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢﴾ : إظهار لفخامة شأنه.

روي أن أبا طالب كان عند رسول الله صلى الله عليه و سلم فانحط نجم ما ثم امتلأ نورا فجزع أبو طالب و قال: أي شيء هذا ؟

فقال عليه الصلاة و السلام: هذا نجم يُرمى به وهو آية من آيات الله

فعجب أبو طالب، فنزلت ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١﴾

﴿ٱلنَّجۡمُ﴾ جنس في التعريف ﴿ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾: المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه، عبر عنه أولاً بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيماً لشأنه.

و اختلفوا فيه:

فقيل: هو زحل، و ذكروا فيه أخبارا، وهو قول الأكثر.

و قيل: الثريا، قاله ابن زيد.

و قيل: هو الجدي، قاله ابن عباس.

و قيل: نجم من السماء السابعة.

﴿إِن﴾ جواب القسم ﴿كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا﴾جاءت مخففة و جاءت ثقيلة ﴿عَلَيْهَا حَافِظٌ ④﴾: يحفظ عملها و رزقها و أجلها.

و قيل: يحفظها من الآفات.

أما الحافظ: فقيل: هو الله سبحانه فلولا حفظه لها لم تبق.

و قيل: هو العقل، يرشده إلى مصالحه، و يكفه عن مضاره.

و قيل: الملائكة الحفظة، تذب عنه الشياطين.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ⑤﴾ : لما ذكر أن كل نفس عليها حافظ اتبعه توصية الإنسان بالنظر في مبدئه ليعلم صحة إعادته فلا يملي على حافظه إلا ما يسره في عاقبته.

﴿خُلِقَ﴾ جواب الاستفهام ﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ⑥﴾: أي المني، و دافق بمعنى مدفوق.

و الدفق: صب فيه دفع، و الدفق في الحقيقة لصاحبه، و الإسناد إلى الماء مجاز.

و أراد الماءين من الرجل و المرأة لامتزاجهما في الرحم و اتحادهما حين ابتدئ في خلقه.

﴿يَخْرُجُ﴾ هذا الماء ﴿مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ⑦﴾:

قيل: الصلب الظهر و الترائب الصدر.

و قيل: الصلب من الرجل و الترائب من المرأة عظام الصدر حيث موضع القادة.

و قيل: العظم و العصب من الرجل، و اللحم و الدم من المرأة.

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ⑧ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ⑨ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ⑩ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ⑪ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ⑫ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ⑬ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ⑭ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ⑮ وَأَكِيدُ كَيْدًا ⑯ فَمَهِّلِ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ⑰﴾

﴿ إِنَّهُۥ ﴾ : الضمير للخالق لدلالة الخلق عليه، و معناه: الذي خلق الإنسان ابتداء من نطفة .

﴿ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ ﴾ : قيل: رد الماء في الإحليل، قاله مجاهد و الضحاك.

و قيل: رد الماء في الصلب، قاله عكرمة.

و قيل: رد الإنسان من الشيب إلى الشباب، قاله المهدوي و الماوردي و الثعلبي.

و قيل: رد الإنسان للحياة بعد الموت، قاله ابن عباس و قتادة و الحسن البصري، و اختاره الطبري.

﴿ لَقَادِرٌ ٨ ﴾ : ليبين القدرة لا يضعف عليه و لا يعجز عنه.

﴿ يَوۡمَ تُبۡلَى ﴾ تمتحن و تختبر ﴿ ٱلسَّرَآئِرُ ٩ ﴾: تتعرف ويميز بين ما طاب من الضمائر وما خفي من الأعمال وما خبث منها، وهو ظرف لـ"رَجۡعِهِ."

و جاءت في السرائر آثار، بين ضعيف و واه، ملخصها أن السرائر هي: الصلاة و الصوم، و الغسل من الجنابة، قيل: و الوضوء.

و قيل: الحيضة و الحمل للمرأة.

﴿ فَمَا لَهُۥ ﴾ الضمير للإنسان ﴿ مِن قُوَّةٍ ﴾ من منعة في نفسه يمتنع بها ﴿ وَلَا نَاصِرٍ ١٠ ﴾: و لا مانع يمنعه.

و قيل: القوة العشيرة، و الناصر الحليف، قاله سفيان و عكرمة.

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ١١ ﴾ : أي المطر، لرجعه و عوده كل سنة أو لما قيل من أن السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه إلى الأرض.

و قيل: الشمس و القمر و النجوم يرجعن في السماء تطلع من ناحية و تغيب في أخرى.

و قيل: الملائكة: لرجوعهم إليها بأعمال العباد.

﴿ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ١٢ ﴾ : ما تتصدع عنه الأرض من النبات و الثمار و الأنهار و

العيون.

و قيل: ذات الأموات، لانصداعها عنهم للنشور.

﴿إِنَّهُۥ﴾ أي القرآن﴿ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣﴾: فاصل بين الحق والباطل كما قيل له "الفرقان" يفرق بينهما، و على هذا وقع القسم.

﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ١٤﴾ : أي ليس القرآن بالباطل و اللعب، فإنه جد كله، و الهزل ضد الجد.

﴿إِنَّهُمۡ﴾ مشركي مكة ﴿يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥﴾: في إبطاله وإطفاء نوره، أو بمحمد و أصحابه يمكرون بهم مكرا.

﴿وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦﴾ : تنزه الله عن النقائص، فالكيد في حق الله بمعنى: وأقابلهم بكيد في استدراجي لهم وانتقامي منهم من حيث لا يحتسبون، فلا يجوز إطلاق هذا الوصف على الله تعالى إلا على وجه الجزاء، قيل: وهو ما أوقع الله بهم يوم بدر من القتل و الأسر.

﴿فَمَهِّلِ﴾ فلا تستعجل يا محمد بهلاكهم و لا تشتغل بالانتقام منهم ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ١٧﴾: و ارض بما يدبره من أمورهم، و الآية منسوخة بآية السيف. والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين.

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "من قرأ سورة الطارق أعطاه الله بعدد بكل نجم في السماء عشر حسنات."

انتهى تفسير سورة الطّارق و لله الحمد.

سورة الأعلى وهي مكية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣ وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ٥ سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ٧﴾

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾ : نزه ذاته عما لا يليق به

وفي الحديث لما نزلت فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ قال عليه الصلاة والسلام اجعلوها في ركوعكم، فلما نزلت سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى قال عليه الصلاة والسلام اجعلوها في سجودكم.

من المعاني التي هي إلحاد في أسمائه كالتشبيه و نحو ذلك.

و عليه فينبغي تفسير الأعلى بمعنى العلو الذي هو القهر و الاقتدار لا بمعنى علو المكان.

و من التنزيه أن لا تذكره إلا و أنت خاشع معظم، و لذكره محترم.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢﴾ : خلق كل شيء فسوى خلقه بأن جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه، للدلالة على أن هذا الإحكام و الاتساق صادر عن عالم و أنه صنعة حكيم.

﴿وَٱلَّذِي قَدَّرَ﴾ : أي قدر أجناس الأشياء وأنواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها.

﴿فَهَدَىٰ ٣﴾: فوجهه إلى أفعاله طبعاً واختياراً بخلق الميول والإلهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات.

﴿وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ٤﴾ : أنبت ما ترعاه الدواب.

﴿فَجَعَلَهُۥ﴾ بعد خضرته ﴿غُثَآءً﴾ يابسا هشيما ﴿أَحۡوَىٰ ٥﴾: أسود.

وقيل: أَحْوى حال من المرعى أي أخرجه أَحْوى أي أسود من شدة خضرته.
وعليه يكون في الآية تقديم و تأخير أي: و الذي أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء.
﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ٦﴾ القرآن يا محمد على لسان جبريل عليه الصلاة والسلام، أو سنجعلك قارئاً بإلهام القراءة ﴿ فَلَا تَنسَىٰٓ ٦﴾: أي فتحفظ فلا تنسى، رواه ابن وهب عن مالك.
وهذه آية من آيات الله وهي أن يقرأ عليه جبريل ما يقرأ من الوحي فيحفظه و لا ينساه وهو أمي لا يكتب و لا يقرأ.
﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ بأن ينسخه حكما أو تلاوة أو معا، قيل: وهو لم يشأ أن تنسى شيئا
﴿ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ ﴾الإعلان من القول و العمل﴿ وَمَا يَخۡفَىٰ ٧﴾: من السر.
أي إنك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل مخافة التفلت، و الله يعلم جهرك معه و ما في نفسك مما يدعوك إلى الجهر، أو بما تقرأ في نفسك مخافة النسيان.

﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ٨ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ١١ ٱلَّذِى يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ١٣﴾

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ٨﴾ : ونعدك للطريقة اليسرى في حفظ الوحي فنهونه عليك حتى تحفظه و لا تنساه.
و قيل: نيسرك لأن تعمل خيرا، قاله ابن عباس.
و قيل للجنة، قاله ابن مسعود.
و قيل: نوفقك للشريعة اليسرى وهي الحنيفية السمحة السهلة، قاله الضحاك.

﴿ فَذَكِّرۡ ﴾ أي فعظ قومك يا محمد بالقرآن﴿ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ٩﴾: و ذلك بعد إلزام الحجة بتكرير التذكير، و فيه إشارة إلى استبعاد تأثير الذكرى فيهم و تسجيلا عليهم بالطبع على قلوبهم.

و للإشعار بأن التذكير إنما يجب إذا ظن نفعه ولذلك أمر بالإِعراض عمن تولى.

﴿ سَيَذَّكَّرُ ﴾ يتعظ و يقبل التذكرة و ينتفع بها ﴿ مَن يَخۡشَىٰ ١٠﴾: من يتق الله و يخاف سوء العاقبة.

فينظر و يفكر حتى يقوده النظر إلى اتباع الحق.

﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ﴾ الذِّكْرى و الموعظة و ينفر منها ﴿ ٱلۡأَشۡقَى ١١﴾ : الشقي في علم الله، الكافر فإنه أشقى من الفاسق، أو أشقى الكفرة لتوغله في الكفر، قيل: نزلت في الوليد بن المغيرة و عتبة بن ربيعة.

﴿ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ١٢﴾ : العظمى، وهي السفلى من أطباق النار، قاله الفراء.

و قال الحسن البصري: الكبرى نار جهنم و الصغرى نار الدنيا، لقوله صلى الله عليه و سلم: "ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم" و الكل أعظم من الجزء.

﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا ﴾ فيستريح من العذاب ﴿ وَلَا يَحۡيَىٰ ١٣﴾: حياة تنفعه يتلذذ بها.

و قيل: لأن الترجيح بين الحياة و الموت أفظع من الصلي، فهو متراخ عنه في مراتب الشدة.

كما قال الشاعر:

ألا ما لنفس تموت فينقضي *** عناها و لا تحيا حياة لها طعم

﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٌ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩ ﴾

﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ ﴾ : تطهر من الكفر والمعصية بالإيمان، قاله ابن عباس و عطاء.

و قيل: تكثر من التقوى من الزكاء، قاله الحسن البصري و قتادة و الربيع.

و قيل: تطهر للصلاة.

و قيل: زكاة الفطر.

و روى البزار عن النبي صلى الله عليه و سلم: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ ﴾ أي من شهر أن لا إله إلا الله و خلع الأنداد و شهد أني رسول الله.

﴿ وَذَكَرَ ﴾ بقلبه ولسانه ﴿ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ ﴾ قيل: هي تكبيرة الإحرام في الصلاة، و قيل: هي تكبيرات العيد ﴿ فَصَلَّىٰ ١٥ ﴾: الصلاة المفروضة، وهي الصلوات الخمس

و قيل: صلاة العيد، قاله أبو سعيد الخدري و ابن عمر.

قال الضحاك: ذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلاة العيد.

﴿ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ﴾ الخطاب للأشقياء ﴿ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ ﴾: فلا تفعلون ما تفلحون به و يسعدكم في الآخرة.

﴿ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٌ ﴾ أفضل، فإن نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع له.

﴿ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧ ﴾: أدوم من الدنيا.

قال مالك بن دينار: لو كانت الدنيا من ذهب يفنى و الآخرة من خزف يبقى لكان الواجب أن يؤثر خزف يبقى على ذهب يفنى، فكيف و الآخرة ذهب يبقى، و الدنيا من خزف يفنى.

﴿ إِنَّ هَٰذَا ﴾ الإِشارة إلى ما سبق من قَدْ أَفْلَحَ فإنه جامع أمر الديانة وخلاصة الكتب

المنزلة ﴿لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨﴾: كتب الله جل ثناؤه كلها.

﴿صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾ : المنزلة عليهم، و المراد المعانى لا الألفاظ بعين هذا النظم و هذه الأحرف.

روي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه و سلم: كم أنزل الله من كتاب ؟

فقال: مائة و أربعة كتب، منها على آدم عشر صحف، و على شيث ابن آدم خمسون صحيفة، و على أخنوخ وهو إدريس ثلاثون صحيفة، و على إبراهيم عشر صحائف، و التوراة و الإنجيل و الزبور و الفرقان"

و قيل: إن في صحف إبراهيم: ينبغي للعاقل أن يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه.

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "من قرأ سورة الأعلى أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله على إبراهيم وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام."

انتهى تفسير سورة الأعلى و لله الحمد.

سورة الغاشية وهي مكية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ٤ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ٥ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ٧ ﴾

﴿ هَلۡ ﴾ بمعنى قد، قاله قطرب ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ١ ﴾: الداهية التي تغشى الناس بشدائدها و أهوالها يعني يوم القيامة، أو النار من قوله تعالى

﴿ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ٥٠ ﴾ [سورة إبراهيم:٦١]

قال ابن عباس: لم يكن أتاه قبل ذلك على هذا التفصيل المذكور هنا.

﴿ وُجُوهٞ ﴾ وجوه الكفار أي أصحاب الوجوه ﴿ يَوۡمَئِذٍ ﴾ يوم القيامة ﴿ خَٰشِعَةٌ ٢ ﴾ : ذليلة بالعذاب، قاله سفيان.

و قال قتادة و ابن زيد: خاشعة في النار.

﴿ عَامِلَةٞ ﴾ : هذا في الدنيا و انشغلت بما لا ينفعها في الآخرة، لأن الآخرة ليست دار عمل، فالمعنى وجوه عاملة ناصبة في الدنيا خاشعة في الآخرة.

و قيل: تعمل ما تتعب فيه كجر السلاسل وخوضها في النار خوض الإبل في الوحل، والصعود والهبوط في تلالها ووهادها.

﴿ نَّاصِبَةٞ ٣ ﴾ : تعبة.

قال ابن عباس: هم الذين أنصبوا أنفسهم في الدنيا على معصية الله عز و جل.

﴿ تَصۡلَىٰ نَارًا ﴾ يصيبها صلاؤها و حرها ﴿ حَامِيَةً ٤ ﴾: متناهية في الحر، قد أحميت

مددا طويلة فلا حر يعدل حرها.

قال الماوردي: فإن قيل فما معنى وصفها بالحماء وهي لا تكون إلا حامية وهو أقل أحوالها، فما وجه المبالغة بهذه الصفة الناقصة ؟

قيل: قد اختلف في المراد بالحامية على أربعة أوجه:

قيل: المراد: دائمة الحمي، ليس كنار الدنيا التي ينقطع حميها بانطفائها.

و قيل: أنها حمى من ارتكاب المحظورات و انتهاك المحارم.

و قيل: تحمي نفسها عن أن تطاق ملامستها، أو ترام مماستها.

و قيل: أنها حامية حمى غيظ و غضب، مبالغة في شدة الانتقام، وهو معنى قوله تعالى:

﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ [سورة الملك:٩]

﴿ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ ﴾ : بلغت أناها في الحر، من الإيناء بمعنى التأخير، فلو وقعت نقطة منها على جبال الدنيا لذابت.

﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ ﴾ : نبات الشبرق إذا يبس صار ضريعا، وهو سم قاتل و شوك ترعاه الإبل ما دام رطباً، وقيل شجرة نارية تشبه الضريع من جوهر لا تأكله النار.

﴿ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧ ﴾ : فمنفعتا الغذاء منفيتان عنه وهما إماطة الجوع و إفادة السمن في البدن.

قال المشركون لما نزلت الآية السابقة: إن إبلنا لتسمن بالضريع، فنزلت هذه الآية لتكذيبهم.

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦ ﴾

﴿ وُجُوهٌ ﴾ وجوه المؤمنين أي أصحاب الوجوه ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ يوم القيامة﴿ نَّاعِمَةٌ ٨ ﴾: ذات بهجة، متنعمة في لين العيش.

﴿ لِّسَعْيِهَا ﴾ لعملها الذي عملته في الدنيا ﴿ رَاضِيَةٌ ٩ ﴾: رضيت بعملها و طاعتها لما رأت ما أداهم إليه من الكرامة و الثواب.

﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ١٠ ﴾ : مرتفعة، لأنها فوق السماوات، أو عالية القدر، لأن فيه ما تشتهيه الأنفس و تلذ الأعين، و هم فيها خالدون.

﴿ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ١١ ﴾ : كلاما ساقطا غير مرضي، من اللغو.

و في المراد بها أوجه:

قيل: أي الكذب و البهتان و الكفر، قاله ابن عباس.

و قيل: لا باطل و لا إثم، قاله قتادة.

و قيل: الشتم، قاله مجاهد.

و قيل: المعصية، قاله الحسن البصري.

و قيل: لا يسمع فيها حالف يحلف بالكذب، قاله الفراء.

و قيل: اليمين مطلقا، قاله الكلبي.

و قيل: أن أهل الجنة لا يتكلمون إلا بالحكمة و حمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم، قاله الفراء أيضا، قال القرطبي: وهو أحسنها، لأنه يعم ما ذكر.

﴿ فِيهَا عَيْنٌ ﴾ عين بمعنى عيون ﴿ جَارِيَةٌ ١٢ ﴾: مجاز عقلي أي يجري ماؤها في أخاديد على وجه الأرض ولا ينقطع والتنكير للتعظيم.

﴿ فِيهَا سُرُرٌ ﴾ جمع سرير ﴿ مَّرْفُوعَةٌ ١٣ ﴾: رفيعة السمك حتى يرى ولي الله ملكه حوله أو القدر.

﴿ وَأَكْوَابٌ ﴾ أباريق و أوان ﴿ مَّوْضُوعَةٌ ١٤ ﴾: مَوْضُوعَةٌ عند حافات العيون معدة

للشرب.

﴿ وَنَمَارِقُ ﴾ وسائد جمع نمرقة ﴿ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ ﴾: بعضها إلى بعض مساند و مطارح أينما أراد أن يجلس جلس على مسورة و استند إلى أخرى.

﴿ وَزَرَابِيُّ ﴾ بسط فاخرة جمع ﴿ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾: مبسوطة متفرقة في المجالس.

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾

لما أنزل الله الآيات السابقة في وصف الجنة، أنكر الكفار ذلك و قالوا: كيف يصعد على هذا السرير و كيف تكثر الأكواب هذه الكثرة و تطول النمارق هذا الطول.. و لم نشاهد ذلك في الدنيا ؟

فشبهتهم مبنية على قياس الغائب على الشاهد

فقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ ﴾ نظر تفكر و اعتبار، و فيه دليل على وجوب النظر في أصول الدين كما هو مذهب جمهور المتكلمين و الأصوليين، و ذم للتقليد و أهله.

﴿ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ ﴾: خلقاً دالاً على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خُلقت طويلة ثم تبرك حتى تركب، فيحمل عليها ثم تقوم.

﴿ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ ﴾ : بلا عمد، ثم نجومها تكثر هذه الكثرة فلا تدخل في حساب الخلق فكذا الأكواب.

﴿ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ ﴾ : نصبا ثابتا فهي راسخة لا تميل فكذا النمارق.

﴿وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠﴾ : بسطت حتى صارت مهاداً، بسطا لا ينافي كرويتها.

و تخصيص هذه الأربعة بالذكر باعتبار أن هذا خطاب للعرب و حث لهم على الاستدلال، و ذلك أنهم كانوا يرون التقليد، كلما عورضوا بشيء قالوا "هذا ما وجدنا عليه آبائنا"،و المرء إنما يستدل بما تكثر مشاهدته له، و الترب تكون في البوادي و نظرهم فيها للسماء و الأرض و الجبال و الإبل فهي أعز أموالهم.

﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ﴾ فأرشدهم يا محمد إلى الأدلة ليتفكروا فيها ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١﴾: فلا عليك إن لم ينظروا ولم يذكروا إذ ما عليك إلا البلاغ.

﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢﴾ : أي بمسلط عليهم فتقتلهم، ثم نسختها آية السيف.

﴿إِلَّا﴾ بمعنى لكن ﴿مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ٢٣﴾فإن لله الولاية و القهر ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ٢٤﴾ : وهو عذاب جهنم.

﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥﴾ : رجوعهم، و فائدة تقديم الظرف التشديد في الوعيد.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ٢٦﴾ : استدل الزمخشري بالآية على وجوب العدل الذي هو من أصول المعتزلة، لقوله "علينا."

و قال النسفي و البيضاوي: "على" لتأكيد الوعيد لا للوجوب، إذ لا يجب على الله شيء عند أهل السنة.

قال الفخر الرازي في تفسيره: "حسابهم ليس بواجب إلا عليه، وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير"

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حساباً يسيراً"

انتهى تفسير سورة الغاشيه و لله الحمد.

سورة الفجر وهي مكية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلۡفَجۡرِ ١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ٤ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ٥ ﴾

﴿ وَٱلۡفَجۡرِ ١ ﴾ : أقسم بالفجر أي انفجار الظلمة عن النهار من كل يوم، قاله علي و ابن الزبير و ابن عباس.

و قيل: فجر أول يوم من شهر محرم، منه تنفجر السنة، قاله ابن عباس أيضا و قتادة.

و قيل: فجر ذي الحجة، قاله الضحاك و مجاهد.

و قيل: أقسم بالصلاة التي في الفجر.

و صلاة الفجر هي صلاة الصبح عند الجمهور، و خصص المالكية الرغيبة باسم صلاة الفجر، و الفريضة باسم صلاة الصبح، و ليس هناك رغيبة سوى الفجر.

﴿ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ٢ ﴾ : الجمهور على أنها العشر من ذي الحجة.

و قيل: العشر التي ذكرها الله في قصة موسى عليه السلام: **وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ** ﴾ [سورة الأعراف:١٤٢] ، قاله مسروق.

و قيل: العشر الأواخر من رمضان، قاله الضحاك.

و قيل: العشر الأول من محرم، آخرها عاشوراء، قاله الطبري.

﴿ وَٱلشَّفۡعِ ﴾ الاثنان ﴿ وَٱلۡوَتۡرِ ٣ ﴾: الفرد.

و اختلفوا في المراد من ذلك:

فقيل: الشفع يوم النحر، و الوتر يوم عرفة، قاله ابن عباس و عكرمة و النحاس، و هو

تفسير نبوي الأصح في الباب.

و قيل: الشفع خلقه لقوله: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ [سورة الذاريات:٤٩]

و الوتر هو الله عز و جل، قاله مجاهد و محمد بن سيرين و مسروق و قتادة.

و قيل: الشفع صلاة الصبح، و الوتر صلاة المغرب.

و قيل: هي صلاة المغرب، فإنها شفع مع وتر.

و قيل: أيام التشريق، قاله ابن الزبير.

و قيل: آدم و حواء، فإن آدم كان فردا فشفع بزوجته حواء.

و قيل: الشفع درجات الجنة، و الوتر دركات النار.

و قيل: الشفع النهار و الليل، و الوتر يوم القيامة.

و قيل: الشفع الصفا و المروة، و الوتر الكعبة.

و قيل: الشفع الحيوان لأنه ذكر أو أنثى، و الوتر الجماد.

و قيل: الشفع مكة و المدينة، و الوتر بيت المقدس، حرره الله من أيدي اليهود الغاصبين.

﴿ وَٱلَّيۡلِ ﴾ قسم خامس، فبعد أن أقسم بالليالي العشر المخصوصة، أقسم بالليل على العموم ﴿ إِذَا يَسۡرِ ۝٤ ﴾: إذا يمضي كقوله: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ۝٣٣ ﴾ [سورة المدثر:٤٤]

والتقييد بذلك لما في التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة.

﴿ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ ﴾ في ما أقسمت به من هذه الأشياء ﴿ قَسَمٌ ﴾ المقسم به ﴿ لِّذِي حِجۡرٍ ۝٥ ﴾: لذي عقل و لب، قاله الشاعر

و كيف يرجى أن تتوب وإنما *** يرجى من الفتيان من كان ذا حجر

قال الزمخشري: و الحجر العقل، لأنه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغي، كما سمي عقلا و نهية، لأنه يعقل و ينهى، و حصاة من الإحصاء وهي الضبط.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم يا محمد علما يوازي العيان في الإيقان، فالاستفهام للتقرير﴿ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦﴾: يعني أولاد عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، قوم هود سموا باسم أبيهم كما سمي بنو هاشم باسمه.

﴿إِرَمَ﴾ عطف بيان لعاد على تقدير مضاف أي سَبْطُ إِرَمَ، أو أَهْلُ إِرَمَ إن صح أنه إسم بلدتهم ﴿ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧﴾ : ذات البناء الرفيع أو القدود الطوال، أو الرفعة والثبات.

وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا، ثم مات شديد فخلص الأمر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها، فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها في بعض صحاري عدن جنة وسماها إرم، فلما تمت سار إليها بأهله، فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا .

وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبله فوقع عليها.

﴿ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝٨﴾ : في قوتهم و طول قامتهم، أو لم مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا.

﴿وَثَمُودَ﴾ وهم قوم صالح ﴿ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ ﴾ قطعوا صخر الجبال و اتخذوا

فيها بيتا ﴿ بِٱلۡوَادِ ٩ ﴾: بواد القرى.

قيل: أول من نحت الجبال و الصور و الرخام هم ثمود، فبنوا من المدائن ألفا و سبعمائة مدينة كلها من الحجارة.

﴿ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ١٠ ﴾ : لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها إذا نزلوا، أو لتعذيبه بالأوتاد.

﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١١ ﴾ : تمردوا و عتوا و تجاوزوا القدر في الظلم و العدوان.

﴿ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ١٢ ﴾ : أي الجور و الأذى.

﴿ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣ ﴾ : ما خلط لهم من أنواع العذاب، وأصله الخلط وإنما سمي به الجلد المضفور الذي يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض، وقيل شبه بالسَوْطَ ما أحل بهم في الدنيا إشعاراً بأنه القياس إلى ما أعد لهم في الآخرة من العذاب كالسوط إذا قيس إلى السيف.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤ ﴾ : وهو تمثيل لإرصاده العباد و أنهم لا يفوتونه و أنه عالم بما يصدر منهم، و أنه مجاز العصاة بالعقاب.

قال الزمخشري: و عن عمرو بن عبيد أنه قرأ هذه السورة عند بعض الظلمة قال القرطبي عند المنصور حتى بلغ هذه الآية فقال: إن ربك لبالمرصاد يا فلان! عرض له في هذا النداء بأن بعض من توعد بذلك من الجبابرة فلله دره! أي أسد فرّاس كان بين يديه ؟ يدق الظلمة بإنكاره، و يقمع أهل الأهواء و البدع باحتجاجه!

﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ أي الكافر، قال ابن عباس: نزلت في عتبة بن ربيعة و أبا حذيفة بن المغيرة ﴿ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ ﴾امتحنه و اختبره ﴿ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ ﴾بالغنى و رغد العيش ﴿ وَنَعَّمَهُۥ ﴾بالجاه والمال ﴿ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ ﴾: أثبت إكرامه و أنكر قوله فلا يحمده.

﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ ﴾ بالفقر و ضيق العيش ﴿ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾: أي أولاني هوانا، لقصور نظره وسوء فكره، فإن التقتير قد يؤدي إلى كرامة الدارين، والتوسعة قد تفضي إلى قصد الأعداء والانهماك في حب الدنيا ولذلك ذمه على قوليه وردعه عنه.

فأما المؤمن فالكرامة عنده أن يكرمه الله بطاعته و توفيقه، المؤدي إلى حظ الآخرة، و إن وسع عليه في الدنيا حمده و شكره.

﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ ﴾ : أي بل فعلهم أسوأ من قولهم وأدل على تهالكهم بالمال وهو أنهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة، بل يأكلون مال اليتيم.

﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ ﴾ : ولا يحثون أهلهم على طعام المسكين فضلاً عن غيرهم.

﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ ﴾ ميراث اليتامى ﴿ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ ﴾: شديدا أي جمعا بين

الحلال والحرام فإنهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون أنصباءهم، أو يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك.

﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ ﴾ حلاله و حرامه ﴿ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ : كثيراً مع حرص وشره و منع للحقوق.

﴿ كَلَّآ ﴾ أي ما ينبغي أن يكون الأمر هكذا، فهو رد لانكبابهم على الدنيا﴿ إِذَا دُكَّتِ ﴿٢١﴾ ﴾ زلزلت ﴿ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ ﴾: أي دكا بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال والتلال، أو هَباءً مُنْبَثًّا.

﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ : أجمعوا على أن الظاهر غير مراد، و خالف في ذلك الحشوية.

قال ابن عباس و الحسن البصري: جاء أمره و قضاؤه، وهو من باب حذف المضاف.

و قيل: جاءهم الرب بالآيات العظيمة، كقوله تعالى ﴿ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ [سورة البقرة:٢١٣] أي بظلل، فجعل مجيء الآيات مجيئا له تفخيما لشأن تلك الآيات.

و قيل: أي زالت الشبه ذلك اليوم، و صارت المعارف ضرورية.

قال القرطبي: قال أهل الإشارة: ظهرت قدرته و استولت، و الله جل ثناؤه لا يوصف بالتحول من مكان إلى مكان، و أنى له التحول و الانتقال، و لا مكان له و لا أوان، و لا يجري عليه وقت و لا زمان، لأن في جريان الوقت على الشيء فوت الأوقات، و من فاته شيء فهو عاجز.

﴿ وَٱلْمَلَكُ ﴾ أي الملائكة ﴿ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾: فيصطفون صفا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم محدقين بالجن و الإنس.

﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرْضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾

﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذِۭ ﴾ بدل من إذا دكت الأرض ﴿ بِجَهَنَّمَۚ ﴾: كقوله تعالى: ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ ﴾ [سورة الشعراء:91]

وفي الحديث: "يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها"

﴿ يَوْمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ﴾ يتعظ و يتوب ﴿ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ الكافر ﴿ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾: لا ينفعه حينها اتعاظه و توبته، فقد فرط فيها في الدنيا التي هي دار العمل و التكليف، و لا تكليف في الآخرة.

﴿ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ ﴾ : هذه وهي الحياة الآخرة، يتذكر معاصيه وهو يعلم قبحها فيندم عليها، فيقول يا ليتني قدمت من الخير لنجاتي من النار.

﴿ فَيَوْمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٥﴾ ﴾ : الضمير يرجع لله عز و جل أي لا يتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيامة سواه إذ الأمر كله له، أو للإنسان أي لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه.

﴿ وَلَا يُوثِقُ ﴾ بالسلاسل و الأغلال ﴿ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٦﴾ ﴾ : قال الزمخشري: لا يعذب أحد أحدا عذاب الله، و لا يوثق أحد أحدا كوثاق الله.

و لا يعذب أحد من عصاة المؤمنين عذاب الكافر.

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ﴾ أي يقول الله للمؤمن إما يكلمه كما كلم موسى إكراما له أو يكلمه ملك ﴿ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ﴾: الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن، الساكنة الموقنة المؤمنة.

﴿ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ ﴾ ميعاد ﴿ إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ صاحبك و جسدك، قاله ابن عباس و عكرمة و عطاء، و قيل: إلى ثواب ربك ﴿ رَاضِيَةٗ ﴾ بما أوتيت ﴿ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ ﴾: عند الله.

﴿ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ ﴾ : الصالحين فانتظمي في سلكهم، على التوحيد.

﴿ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠ ﴾ : معهم أو في زمرة المقربين فتستضيء بنورهم، فإن الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة.

يقال لها هذا عن الموت و عند البعث و عند دخول الجنة.

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له، ومن قرأها في سائر الأيام كانت له نورا يوم القيامة."

انتهى تفسير سورة الفجر و لله الحمد.

سورة البلد وهي مكية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ① وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ② وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ③ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ④ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ⑤ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ⑥ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ⑦﴾

﴿لَآ﴾ قيل: لا زائدة فهي صلة، و قيل: هي نفي صحيح، و المعنى لا أقسم بهذا البلد إذا لم تكن فيه بعد خروجك منه يا محمد ﴿أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ①﴾ أقسم سبحانه بالبلد الحرام وقيده بحلول الرسول عليه الصلاة والسلام فيه إظهاراً لمزيد فضله، وإشعاراً بأن شرف المكان بشرف أهله فقال ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ②﴾ : و قيل المعنى: حلال لك أن تفعل فيه ما تريد ساعة من النهار فهو وعد بما أحل له عام الفتح.

﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ③﴾ :

قيل: آدم و ما نسل من ولده، أقسم بهم لأنهم أعجب خلق الله على وجه الأرض لما فيهم من التباين و النطق و التدبير، قاله مجاهد و قتادة و الضحاك و الحسن البصري.

و قيل: آدم و الصالحين من ذريته.

و قيل: إبراهيم و ذريته.

و قيل: إبراهيم و محمد عليهما السلام.

و قيل: النبي صلى الله عليه و سلم و أمته.

و قيل: و الذي يولد له و الذي لا يولد له وهو العاقر، قاله عكرمة و سعيد بن جبير.

و قيل: عام في كل والد و كل مولود.

﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ④﴾ : جواب القسم.

و قوله "في كبد" أي في شدة و عناء من مكابدة الدنيا.

والإِنسان لا يزال في شدائد مبدؤها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده، وهو تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام مما كان يكابده من قريش.

قال النسفي: و عن ذي النون: لم يزل الإنسان مربوطا بحب القضاء مدعوا إلى الائتمار و الانتهاء.

قال ابن عطاء: في كبد أي في ظلمة الجهل.

﴿ أَيَحۡسَبُ ﴾ بعض صناديد قريش وهو عام ﴿ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥ ﴾: فينتقم منه، أو أن لا يعاقبه الله في الدنيا.

﴿ يَقُولُ ﴾ عند القدرة عليه، أي عند الحساب ﴿ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦ ﴾: من تلبد الشيء إذا اجتمع، والمراد ما أنفقه سمعة ومفاخرة، أو معاداة للرسول عليه الصلاة والسلام.

﴿ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ ﴾ : حين كان ينفق أو بعد ذلك فيسأله عنه، يعني أن الله سبحانه وتعالى يراه فيجازيه، أو يجده فيحاسبه عليه.

﴿ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ۝١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ۝١٦ ﴾

﴿ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ ﴾ : يبصر بهما، ذكر نعمته على بني آدم.

﴿ وَلِسَانٗا ﴾ ينطق به و يترجم به عن ضميره ﴿ وَشَفَتَيۡنِ ۝٩ ﴾: يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب وغيرها.

﴿ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠ ﴾ : الطريقين، طريق الخير و طريق الشر، هو قول الجمهور.

و قيل: الثديان يتغذى بهما في صغره، قاله سعيد بن المسيب و الضحاك.

﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١ ﴾ : أي فلم يشكر النعمة التي أنعمها الله عليه بالأعمال الصالحة، و بالإيمان الذي هو أصل كل طاعة و أساس كل خير.

فلا هو نجا و لا سلم.

و قيل: العقبة جبل في جهنم، يقتحمها الخلق بطاعة الله.

و قيل: كناية عن الصراط و عبوره.

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢ ﴾ : تعظيم لالتزام أمر الدين.

قال الحسن البصري: عقبة والله شديدة مجاهدة الإنسان نفسه و هواه و عدوه الشيطان.

﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ ﴾ : يندرج تحتها أمران:

فك أسير الحرب و خلاصه من الأسر.

تحرير العبيد من الرق.

و احتج أبو حنيفة بالآية و ما بعدها على أفضلية العتق على الصدقة، لتقديم فك الرقاب على الإطعام الذي هو صدقة.

﴿ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝١٤ ﴾ : أي فاقة و حاجة و مجاعة، و السغب الجوع.

و الإطعام في ذاته فضيلة، و كونه حال السغب أفضل.

﴿ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ۝١٥ ﴾ : أي قرابة، فإن الصدقة على القرابة أفضل منها على غير القرابة، كما أن الصدقة على اليتيم الذي لا كافل له أفضل من الصدقة على اليتيم الذي يجد من يكفله.

﴿ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ۝١٦ ﴾ : لا شيء له، من ترب إذا افتقر، و معناه التصق بالتراب فيكون مأواه المزابل.

قال ابن عباس: هو المطروح على الطريق الذي لا بيت له.

و قيل: ذو العيال، قاله قتادة.

و قيل: المديون، قاله عكرمة.

و قيل: الذي ليس له أحد، قاله سعيد بن جبير.

و قيل: المسن، قاله أبو سنان.

و قيل: عابر السبيل الغريب البعيد عن وطنه، قاله ابن عباس أيضا.

﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ۝١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ۝٢٠ ﴾

﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ و داوم على الإيمان و مات عليه، و الإيمان التصديق مع الإذعان ﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾ وأوصى بعضهم بعضاً بِالصَّبْرِ على طاعة الله تعالى و الإمساك عن محارمه و على المحن التي يبتلي بها المؤمن ﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ۝١٧ ﴾: بالرحمة على عباده، أو بموجبات رحمة الله تعالى.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝١٨ ﴾ : أي الذين يؤتون كتبهم من أيمانهم.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ بما نصبناه دليلاً على الحق من كتاب وحجة أو بالقرآن

﴿ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝١٩ ﴾: من الشمال، الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم خلف ظهورهم، أو من الشؤم.

﴿ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ۝٢٠ ﴾ : نارٌ مُؤْصَدَةٌ مطبقة من أوصدت الباب إذا أطبقته وأغلقته.

و قيل: مبهمة لا يدرى ما بداخلها من آفات مما أعده الله للأهل النار.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "من قرأ لَا أُقْسِمُ بهذا البلد أعطاه الله سبحانه وتعالى الأمان من غضبه يوم القيامة"

انتهى تفسير سورة البلد و لله الحمد.

سورة الشمس وهي مكية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾

﴿ وَٱلشَّمۡسِ ﴾ ضوؤها إذا أشرق و قام سلطانها ﴿ وَضُحَىٰهَا ۝١ ﴾ : و انبساطها، و قيل: ما أشرقت عليه و ظهرت فوقه، فقد أقسم بكل مخلوقات الأرض.

و قيل: أي حرها، لقوله تعالى ﴿ وَلَا تَضۡحَىٰ ۝١١٩ ﴾ [سورة طه:٢٢٩] أي لا يؤذيك الحر.

﴿ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ ﴾ : تلا طلوعه طلوع الشمس أول الشهر.

و قيل: غروبها ليلة البدر.

و قيل: إذا استوى و استدار و كمل نوره.

﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ ﴾ : جلى الشمس و كشفها فإنها تتجلى إذا انبسط النهار أو الظلمة.

و قيل: جلى ما في الأرض من حيوانها حتى تظهر، لاستتاره ليلا و انتشاره نهارا.

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ ﴾ : يستر الشمس فتظلم الآفاق.

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ ﴾ : أي ومن بناها وإنما أوثرت على من لإرادة معنى الوصفية كأنه قيل: والشيء القادر الذي بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها، قاله الحسن البصري و مجاهد و الطبري.

و قيل: و بنيانها، قاله قتادة و المبرد.

﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦﴾ : يجري عليه التفصيل السابق، أي و من طحاها، أو و طحوها.

و طحاها أي بسطها.

و قال الماوردي: يحتمل أنه ما خرج منها من نبات و عيون و كنوز.

﴿وَنَفۡسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ : أي و من سواها أو و استواؤها.

و النفس: قيل: المراد آدم عليه السلام.

و قيل: كل نفس منفوسة.

﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨﴾ : أي عرفها، قاله مجاهد.

قال ابن عباس: عرفها طريق الفجور و التقوى.

و قال محمد بن كعب: إذا أراد الله عز و جل بعبده خيرا ألهمه الخير فعمل به، و إذا أراد به السوء، ألهمه الشر فعمل به.

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ : جواب القسم.

و قال الزمخشري: جواب القسم محذوف تقديره: ليدمدمن الله عليهم.

و "زَكَّاهَا" أي طهرها الله و أصلحها و جعلها زاكية.

قال البيضاوي: أنماها بالعلم والعمل، كأنه لما أراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه أقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذي هو أقصى درجات القوة النظرية، ويذكرهم عظائم آلائه ليحملهم على الاستغراق في شكر نعمائه الذي هو منتهى كمالات القوة العملية.

﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ : نقصها وأخفاها بالجهالة والفسوق.

و قيل: دس النفس في جملة الصالحين و ليس منهم.

﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ١٢ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ١٤ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ١٥ ﴾

﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ١١ ﴾ : بطغيانهم، إذ الحامل لهم على التكذيب هو الطغيان.

و قيل: كذبت بما أوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله: ﴿ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ٥ ﴾ [سورة الحاقة:٦] ، قاله ابن عباس.

و قيل: بطغواها أي بأجمعها، قاله محمد بن كعب.

﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ ﴾ حين قام و نهض ﴿ أَشۡقَىٰهَا ١٢ ﴾: لعقر الناقة.

قيل: اسمه قُدار بن سالف.

و قيل: أشقاها و هم تسعة.

و في الحديث عن الضحاك عن علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: أتدري من أشقى الأولين ؟

قال: الله و رسوله أعلم.

قال: عاقر الناقة، أتدري من أشقى الآخرين ؟

قال: الله و رسوله أعلم.

قال: قاتلك.

﴿ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ نبي الله صالح عليه السلام ﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ ﴾ منصوب على التحذير كقولك الأسد الأسد و الصبي الصبي و الحذار الحذار، أي احذروا ناقة الله، أي عقرها ﴿ وَسُقۡيَٰهَا ١٣ ﴾: أي ذروها و شربها.

و ذلك أنهم لما اقترحوا الناقة كمعجزة يخرجها النبي بإذن ربه من الصخرة، جعل الله عز و جل لهم شرب يوم من بئرهم، و شرب لها يوم مكان ذلك، فشق ذلك عليهم.

﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾ فيما حذرهم منه من حلول العذاب إن فعلوا ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾: أي فعقرها أحدهم وهو الأشقى، أسند الفعل إلى الكل بجامع اتفاقهم على عصيان أمر الرسول.

﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ ﴾: أي أهلكهم هلاك استئصال و أطبق عليهم العذاب بذنبهم الذي هو الكفر و التكذيب و العقر.

و حقيقة الدمدمة مضاعفة العذاب و ترديده.

﴿ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ ﴾: سوى الدمدمة عليهم لم يفلت منها صغيرهم و لا كبيرهم، قال قتادة: ذكر لنا أنه لم يعقر الناقة حتى تابعه على ذلك صغيرهم و كبيرهم، ذكرهم و أنثاهم.

﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾ ﴾ : و لا يخاف عاقبة هذه الفعلة من تبعة أحد كما يخاف من يعاقب من الملوك، فإنه تعالى: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة الأنبياء:٣٤] و قيل الضمير يرجع إلى صالح، أي لا يخاف عاقبة إهلاك قومهم، و لا يخسى ضررا يعود عليه من عذابهم، لأنه قد أنذرهم، و نجاه الله حين أهلكهم.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "من قرأ سورة والشمس فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر"

انتهى تفسير سورة الشمس و لله الحمد.

سورة الليل وهي مكية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ١١ ﴾

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ١ ﴾ : المفعول به أي المَغشي إما الشمس كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ٤ ﴾ [سورة الشمس:٥] و إما النهار كقوله تعالى: ﴿ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ ﴾ [سورة الأعراف:54] و إما كل شيء يواريه بظلامه كقوله تعالى: ﴿ إِذَا وَقَبَ ٣ ﴾ [سورة الفلق:٤]

و يغشى أي يغطي.

﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢ ﴾ : ظهر بزوال ظلمة الليل و وضح، أو تبين و تكشف بطلوع الشمس.

﴿ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣ ﴾ : يجري فيه ما سبق في سورة الشمس عند قوله تعالى ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ ﴾ [سورة الشمس:٦-٨] فـ"ما" إما بمعنى "مَنْ": فيكون المعنى والقادر الذي خلق صنفي الذكر والأنثى من كل نوع له توالد، فيكون قد أقسم جل و عز بنفسه.

و إما أن تكون "ما" مصدرية فيكون المعنى و خَلقه أي و مخلوقه من ذكر و أنثى، من باب إطلاق المصدر على اسم المفعول.

و الذكر آدم، و الأنثى حواء.

و قيل: عام.

﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾ : هذا جواب القسم، و المعنى: إن عملكم لمختلف.

فالسعي العمل، و في الحديث: "الناس غاديان: فمبتاع نفسه فمعتقها، و بائع نفسه فموبقها"

و شتى واحده شتيت، مثل مريض و مرضى، فإن بعض سعيكم و عملكم و كسبكم ضلالة

و بعضه هدى، و منكم مؤمن و بر، و كافر و فاجر، و مطيع و عاصي.

ثم فصل هذا السعي و ما يترتب عنه فقال:

﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ﴾ حقوق ماله ﴿وَٱتَّقَىٰ ۝٥﴾ : ربه فاجتنب محارمه.

قال ابن مسعود: يعني أبا بكر رضى الله عنه، قال القرطبي: و قاله عامة المفسرين.

و ذلك أن أبا بكر كان يعتق على الإسلام العجائز و الصبيان، و كان من ضمن من أعتق

بلالا.

﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦﴾ : أي بلا إله إلا الله، و قيل: بالجنة، و قيل بالخلف من عطائه،

يعني أن من تصدق بشيء عوضه الله بخير منه، و اختاره الطبري.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧﴾ : فسنهيئه للخلة التي تؤدي إلى يسر وراحة كدخول الجنة.

و قيل: نرشده لأسباب الخير و الصلاح.

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ بماله فلم يؤد حقوقه ﴿وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨﴾: عن ربه فلم يتقه، أو

استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة

﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩﴾ : أي بلا إله إلا الله، أو بالجنة، أو بالخلف على ما سبق.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠﴾ : للخلة المؤدية إلى العسر والشدة كدخول النار.

و قيل: نعسر عليه أسباب الخير و الصلاح حتى يصعب عليه فعلها.

﴿وَمَا﴾ استفهام إنكاري ﴿يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾: من الردى وهو الهلاك أي إذا هلك و مات.

و قيل: تردى في القبر.

و قيل: تردى في قعر جهنم أي سقط.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْـَٔاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢﴾ : أي إن علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلالة.

و الهدى هنا: بمعنى بيان الأحكام، قاله الزجاج، أي بيان حلاله و حرامه، قاله قتادة.

للإرشاد إلى الحق بموجب قضائنا أو بمقتضى حكمتنا، أو إِنَّ عَلَيْنا طريقة الهدى.

ففيه رد على من قال بالتحسين و التقبيح العقلي.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْـَٔاخِرَةَ﴾ الجنة ﴿وَٱلْأُولَىٰ ۝١٣﴾: الدنيا، فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ الطريق.

و قيل المعنى: لا يضرنا ضلال من ضل و لا ينفعنا اهتداء من اهتدى.

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤﴾ رهبتكم و خوفتكم و حذرتكم ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤﴾: تتلهب و تتوقد.

﴿لَا يَصْلَىٰهَآ﴾ أي لا يجد صلاها وهو حرها ﴿إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥﴾: قال الزمخشري:

الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين و عظيم من المؤمنين، فأراد أن يبالغ في صفتيهما المتناقضتين، فقيل: الأشقى و جعله مختصا بالصلى، كأن النار لم تخلق إلا له، و

قيل: الأتقى، و جعله مختصا بالجنة، كأن الجنة لم تخلق إلا له.

قيل: هما أبو جهل و أبو بكر.

﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ١٦﴾ : أي كذب الحق وأعرض عن الطاعة.

قال أبو اسحاق الزجاج: هذه الآية التي من أجلها قال أهل الإرجاء بالإرجاء، فزعموا أنه لا يدخل النار إلا كافر.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ و يبعد عنها ﴿ٱلۡأَتۡقَى ١٧﴾ : الذى اتقى الشرك والمعاصي فإنه لا يدخلها فضلاً عن أن يدخلها ويصلاها، ومفهوم ذلك أن من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف الحصر السابق.

قال بعض البيانيين:

أراد بقوله الأتقى و الأشقى أي التقي و الشقي، كقول طرفة:

تمنى رجال أن أموت و إن مت *** فتلك سبيل لست فيها بأوحد

أو واحد و وحيد.

﴿ٱلَّذِى يُؤۡتِى مَالَهُۥ﴾ يصرفه في مصارف الخير ﴿يَتَزَكَّىٰ ١٨﴾: من الزكاء.

أي يطلب بأن يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء و لا سمعة.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩﴾ : أي ما لأحد عند الله نعمة يجازيه بها إلا أن يفعل فعلا يبتغي به وجه ربه فيجازيه عليه.

﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠﴾ : أي ليس يتصدق ليجازى على نعمة، إنما يبتغي وجه ربه الأعلى.

و الأعلى: هو الرفيع بسلطانه المنيع في شأنه و برهانه، و لم يرد به العلو من حيث المكان، و إلا فهو متعال عن أن يكون مفتقرا في وجوده للمكان، و كان تعالى في الأزل و لا مكان.

﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ٢١ ﴾ : وعد بالثواب الذي يرضيه. والآيات نزلت في أبي بكر رضي الله تعالى عنه حين اشترى بلالاً في جماعة تولاهم المشركون فأعتقهم.

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "من قرأ سورة والليل أعطاه الله سبحانه وتعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر."

انتهى تفسير سورة الليل و لله الحمد.

سورة الضحى وهي مكية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥﴾

﴿وَٱلضُّحَىٰ ١﴾ : وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس، وتخصيصه لأن النهار يقوى فيه، أو لأن فيه كلم موسى ربه وألقى السحرة سجداً بيانه قوله تعالى ﴿وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى ٥٩﴾ [سورة طه:٦٩] و قيل: المراد بالضحى النهار كله بدليل مقابلته بالليل لاحقا.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢﴾ : أي سكن، أهله أو ركد ظلامه من سجا البحر سجواً إذا سكنت أمواجه.

قال جرير:

و لقد رَمَيْنَكَ يوم رُحْنَ بأعينٍ *** ينظرن من خِلَل الستور سواجي

وتقديم اللَّيْلِ في السورة المتقدمة باعتبار الأصل، وتقديم النهار ها هنا باعتبار الشرف.

و قيل في ﴿وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢﴾ : عباده الذين يعبدونه في وقت الضحى، و عباده الذين يعبدونه بالليل إذا أظلم.

و قيل: الضحى يعني النور الذي في قلوب العارفين كهيئة النهار، و الليل يعني السواد الذي في قلوب الكافرين كهيئة الليل.

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣﴾ : وهو جواب القسم أي ما تركك منذ اختارك، و ما

أبغضك منذ أحبك، و التوديع مبالغة في الودع لأن من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك.

روي أن الوحي تأخر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أياما فقال المشركون: إن محمدا ودعه ربه و قلاه، فنزلت ردا عليهم.

و قيل: أن أم جميل امرأة أبي لهب قالت له: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد قلاك، فنزلت.

قيل: كانت مدة انقطاع الوحي اثني عشر يوما، قاله ابن جريج.

و قيل: خمسة عشر يوما، قاله ابن عباس.

و قيل: خمسة و عشرون يوما.

و قيل: أربعون يوما، قاله مقاتل.

﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ : ما أعده الله لك من المقام المحمود و الحوض المورود و الخير الموعود خير مما أعجبك في الدنيا.

قال الزمخشري في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها:

لما كان ضمن نفي التوديع و القلى أن الله مواصلك بالوحي إليك و أنك حبيب الله و لا ترى كرامة أعظم من ذلك و لا نعمة أجلّ منه أخبره أن حاله في الآخرة أعظم من ذلك و أجل و هو السبق و التقدم على جميع أنبياء الله و رسله و شهادة أمته على سائر الأمم و رفع درجات المؤمنين و إعلاء مراتبهم بشفاعته و غير ذلك من المقامات السنية.

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ : وعد شامل لما أعطاه من كمال النفس وظهور الأمر وإعلاء الدين، ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه، وجمع اللام مع سوف للدلالة على أن الإِعطاء كائن لا محالة وإن تأخر لحكمة.

و في الخبر: قال علي بن أبي طالب لأهل العراق: إنكم تقولون إن أرجى آية في كتاب الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ [سورة الزمر:٦٤] قالوا: إنا نقول ذلك.

قال: و لكنا أهل البيت نقول: إن أرجى آية في كتاب الله قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ و في الحديث: لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه و سلم: "إذا والله لا أرضى و واحد من أمتي في النار"

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾

عدد نعمه سبحانه و تعالى على الرسول صلى الله عليه و سلم و أنه لم يخله منها من أول تربيه و ابتداء نشئه ترشيحا لما أراد به ليقيس المترقب فضل الله على ما سلف منه لئلا يتوقع إلا الحسنى و زيادة الخير و الكرامة و لا يضيق صدره و لا يقل صبره.

فقال ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ الوجود هنا بمعنى العلم ﴿يَتِيمًا﴾ فالمعنى ألم تكن يتيما

﴿فَـَٔاوَىٰ ۝٦﴾ : إلى عمك أبا طالب و ضمك إليه حتى كفلك و رباك.

و قيل لجعفر بن محمد الصادق عليه السلام: لم أوتم النبي صلى الله عليه و سلم من أبويه ؟

فقال: لئلا يكون لمخلوق عليه حق.

و قيل: آواك بأصحاب يحفظونك و يحوطونك.

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ غافلا عما يراد بك من أمر النبوة ﴿فَهَدَىٰ ۝٧﴾: فأرشدك،

فالضلال بمعنى الغفلة هنا، كقوله تعالى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ [سورة طه:٦٣]

أي لا يغفل.

و قيل: عن علم الحكم والأحكام. فَهَدى فعلمك بالوحي والإِلهام والتوفيق للنظر .

وقيل: وجدك ضالاً في الطريق حين خرج بك أبو طالب إلى الشام أو حين فطمتك حليمة وجاءت بك لتردك إلى جدك، فأزال ضلالك عن عمك أو جدك.

قال النسفي: و لا يجوز أن يفهم به عدول عن حق و وقوع في غي، فقد كان عليه الصلاة و

السلام من أول حاله معصوما عن عبادة الأوثان و قاذورات أهل الفسق و العصيان.

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾ فقيرا لا مال لك ﴿فَأَغۡنَىٰ ٨﴾ : بزواجك من خديجة رضي الله عنها.

و قيل: أغناك عن طلب الرزق لانشغالك بالرسالة و التبليغ.

و قيل: وجدك فقيرا من الحجج و البراهين فأغناك بها.

﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ٩﴾ : فلا تغلبه على ماله و حقه لضعفه و لا تتسلط عليه بالظلم، وقرئ النخعي و العقيلي "فلا تكهر" أي فلا تعبس في وجهه.

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ١٠﴾ : لا تزجره فهو نهي عن إغلاظ القول.

قال ابن العربي: أما السائل عن الدين فجوابه فرض على العالم، على الكفاية، كإعطاء سائل البر سواء.

﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ١١﴾ : فإن التحدث و الاعتراف بها شكر.

و قيل في النعمة التي أنعمها الله على رسوله: القرآن، قاله مجاهد.

و قيل: النبوة.

و الصحيح أنها تعمل جميع نعم الله عليه.

و الخطاب للنبي صلى الله عليه و سلم، و الحكم عامل له و لغيره.

عن الحسن بن علي عليهما السلام قال: إذا أصبت خيرا، أو عملت خيرا فحدث به الثقة من إخوانك.

و في الحديث: "و التحدث بالنعم شكر و تركه كفر" و قال أيضا "إن الله جميل يحب الجمال، و يحب أن يرى أثر نعمته على عبده"

و عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه كان إذا بلغ آخر سورة الضحى كبر بين كل سورة تكبيرة إلى أن يختم القرآن.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "من قرأ سورة والضحى جعله الله سبحانه وتعالى فيمن يرضى لمحمد صلّى الله عليه وسلم أن يشفع له وعشر حسنات، يكتبها الله سبحانه وتعالى له بعدد كل يتيم وسائل"

انتهى تفسير سورة الضحى و لله الحمد.

سورة الشرح مختلف فيها

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ٣ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٦ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ٨ ﴾

مسألة: ((ذكر الهذلي في الكامل و نقل الرازي في تفسيره عن طاووس و عمر بن عبد العزيز، و عنهما حكاه السيوطي في الإتقان، أن سورة الضحى و سورة الشرح مما وقع فيه خلاف في الصدر الأول، هل هما سورة واحدة، أم سورتان ؟
ثم انعقد الإجماع على أنهما سورتان منفصلتان.))

﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١ ﴾ : استفهام عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار فأفاد إثبات الشرح، فكأنه قال: شرحنا لك صدرك.

و الشرح: فسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائباً حاضراً، بما أودعنا فيه من الحكم وأزلنا عنه ضيق الجهل.

و قيل: بتسهيل و تيسير نزول الوحي بعد أن كان يشق عليه أول الأمر.

﴿ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٢ ﴾ : و حططنا عنك ذنبك، و مثل هذه الآية قوله تعالى:

﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [سورة الفتح:٣]

و الوزر الذنب، و قيل: عبأك الثقيل، أي خففنا عنك أعباء النبوة و القيام بأمرها.

و على القول بأن الوزر هو الذنب، قيل: عوتب على ترك الأفضل مع إتيان الفاضل، وهو المعبر عنه عند الأصوليين بخلاف الأولى.

﴿ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ﴾ أثقله و أوهنه حتى سمع له صوت ﴿ ظَهْرَكَ ۝٣ ﴾: وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة، أو جهله بالحكم والأحكام أو حيرته، أو تلقي الوحي أو ما كان يرى من ضلال قومه من العجز عن إرشادهم، أو من إصرارهم وتعديهم في إيذائه حين دعاهم إلى الإيمان.

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ ﴾ : بأن قرن اسمه باسمه تعالى في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاعته.

قال ابن عباس: يقول له لا ذُكِرتُ إلا ذُكِرتَ معي في الأذان و الإقامة و التشهد و يوم الجمعة على المنابر و يوم الفطر و يوم الأضحى و أيام التشريق و يوم عرفة و عند الجمار و على الصفا و المروة و في خطبة النكاح و في مشارق الأرض و مغاربها.

﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ ﴾ الضيق و الشدة ﴿ يُسْرًا ۝٥ ﴾: سعة و غنى.

﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ : التكرير تأكيد للكلام.

و المعنى: فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وإيذائهم. يُسْراً كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تيأس من روح الله إذا عراك ما يغمك.

و من عادة العرب إذا ذكروا اسما معرفا ثم كرروه فهو هو، كحال قوله "العسر" فالثاني هو الأول، و إذا نكروه ثم كرروه منكرا، فهو غيره، كقوله "يسرا" فاليسر الثاني غير الأول، حتى يكون ذلك أقوى للأمل و أبعث على الصبر، قاله ثعلب.

و يشهد له الحديث، قال صلى الله عليه و سلم: "لن يغلب عسر يسرين."

و الآية من أعظم القواعد الفقهية الفرعية.

﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ ﴾ من دعوة الخلق ﴿ فَٱنصَبْ ۝٧ ﴾: فاجتهد في عبادة الرب، شكراً لما عددنا عليك من النعم السالفة و وعدناك من النعم الآتية.

و قيل: إذا فرغت من الصلاة فبالغ في الدعاء و سله حاجتك، قاله ابن عباس و قتادة.

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ٨﴾ : بالسؤال ولا تسأل غيره فإنه القادر وحده على إسعافك.

وقرئ "فَرَغِّبْ" أي فرغب الناس إلى طلب ثوابه.

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "من قرأ سورة ألم نشرح فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني"

انتهى تفسير سورة الشرح ولله الحمد.

سورة التين وهي مكية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ١ وَطُورِ سِينِينَ ٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ٧ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨﴾

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ١﴾ : خصهما من الثمار بالقسم لأن التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم، ودواء كثير النفع فإنه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين، ويزيل رمل المثانة ويفتح سدد الكبد والطحال، ويسمن البدن.

و هما كناية عن الشام و القدس، و التين و الزيتون اسم جبلان بهما.

و قيل: مسجدا دمشق وبيت المقدس.

و قيل: مسجد نوح عليه السلام الذي بناه على الجودي، و مسجد بيت المقدس.

و قيل: مسجد أصحاب الكهف، و مسجد بيت المقدس.

﴿وَطُورِ سِينِينَ ٢﴾ : الكلمتان بالسريانية فعُرِّبتا، و طور بمعنى جبل، و سينين بمعنى مبارك، قاله مجاهد، و قيل حسن، قاله ابن عباس، و قال قتادة: سينين هو المبارك الحسن.

إشارة إلى الجبل الذي ناداى الله جل ثناؤه منه موسى عليه السلام.

و قيل: سينين أي بأرض سيناء.

﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾ يعني مكة ﴿ ٱلۡأَمِينِ ٣﴾: لأنه آمن كما قال تعالى ﴿ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا ﴾ [سورة العنكبوت:٦٧] ، فالأمين بمعنى الآمن، قاله الفراء و غيره، قال الشاعر:

يعني آمني.

و قيل: الأمين بمعنى المأمون فيه يأمن فيه من دخله.

فيكون تعالى أقسم بمأوى عيسى و مولد إبراهيم وهو الشام، و ببيت المقدس لأنه مقام الأنبياء عليهم السلام، و الجبل الذي كلم منه موسى، و بمكة التي هي أثر إبراهيم و مولد محمد صلى الله عليهما و سلم.

﴿لَقَدْ﴾ هذا جواب القسم ﴿خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ جنس الإنسان ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾: تعديل بأن خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات.

و قال أبو بكر بن طاهر: مزينا بالعقل، مؤيدا للأمر، مهديا بالتمييز، مديد القامة، يتناول مأكوله بيده.

و قال ابن العربي: ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان، فإن الله خلقه حيا عالما قادرا مريدا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما، و هذه صفات الرب سبحانه، و عنها عبر بعض العلماء، ووقع البيان بقوله صلى الله عليه و سلم "إن الله خلق آدم على صورته" يعني صفاته التي قدمنا ذكرها، و من أين تكون للرحمن صورة متشخصة، فلم يبق إلا أن تكون معاني.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾﴾ : إلى أرذل العمر، وهو الهرم بعد الشباب.

و قيل: بأن جعلناه من أهل النار، فإن أبشع الخلق خلقة.

﴿إِلَّا﴾ من قال أسفل سافلين النار فالاستثناء متصل،و من قال إنه الهرم فهو منقطع

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ۞﴾: فإنهم تكتب حسناتهم و تضاعف، و تمحى سيئاتهم و تغتفر.

و قيل: إن العلماء العاملين لا يخرف منهم أحد و لا يهرم و لا يذهب عقلهم.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ الخطاب للكافر ﴿بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ۞﴾: أي فما يجعلك مكذبا بالبعث منكرا للجزاء. خاصة بعد هذا البيان القاطع و البرهان الساطع، فإن خلق الإنسان من نطفة فاكتماله على أحسن صورة ثم رده لأرذل العمر ليس أحسن دليل على قدرة الخالق.

﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ﴾ و أتقن ﴿ٱلۡحَٰكِمِينَ ۞﴾: تحقيق لما سبق. والمعنى أليس الذي فعل ذلك من الخلق والرد بِأَحْكَمِ الْحاكِمِينَ صنعاً وتدبيراً ومن كان كذلك كان قادراً على الإِعادة والجزاء على ما مر مراراً.

و استحب العلماء لمن قرأ سورة التين أن يقول في آخرها "بلى، و أنا على ذلك من الشاهدين" ولو في صلاة، وهو مروي عن ابن عباس و علي بن أبي طالب و أبي هريرة.

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "من قرأ سورة والتين أعطاه الله العافية واليقين ما دام حياً، فإذا مات أعطاه الله من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة."

انتهى تفسير سورة التين و لله الحمد.

سورة العلق وهي مكية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ۝٨﴾

*مسألة:

هذه السورة أول ما نزل من القرآن في قول جمهور المفسرين، نزل بها جبريل على النبي صلى الله عليه و سلم وهو يتحنث في غار حراء، فعلمه الخمس الأول من هذه السورة.

و قيل: أول ما نزل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [سورة المدثر: ٢] قاله جابر بن عبد الله.

و قيل: أول ما نزل الفاتحة، قاله أبو ميسرة الهمداني، و عزاه الزمخشري للجمهور.

و قيل أول ما نزل ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ [سورة الأنعام: ٢٦٢] ، نسب لعلي بن أبي طالب.

و الصواب و الذي تواتر عند عامة المسلمين و خاصتهم أن ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ هي أول ما نزل من القرآن.

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ : أي اقرأ القرآن مفتتحاً باسمه سبحانه وتعالى، مستعيناً به.

و قيل: تقديره: خلق كل شيء.

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ تخصيص الإنسان بالذكر لشرفه، و لأن التنزيل إليه ﴿مِنۡ عَلَقٍ ۝٢﴾ : أي دم، جمع علقة، وهي الدم الجامد و إذا جرى فهو المسفوح.

ولما كان أول الواجبات معرفة الله سبحانه و تعالى التي طريقها النظر نزل أولاً ما يدل على

وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته.

﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ تكرير للمبالغة، أو الأول مطلق والثاني للتبليغ ﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ﴾:

الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كريم، ينعم على عباده النعم، و يحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم و جحودهم لنعمه.

و قال الكلبي: يعني الحليم عن جهل العباد.

فإنه سبحانه وتعالى ينعم بلا عوض ويحلم من غير تخوف، بل هو الكريم وحده على الحقيقة.

و كأنه ليس وراء التكرم بإفادة الفوائد العلمية تكرم، و للإمام الفخر الرازي رسالة لطيفة في أنه ليس من اللذات ماهو حقيقي إلا لذة المعارف، فلتراجع.

﴿ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ ﴾ : يعني الخط و الكتابة.

قال قتادة: القلم نعمة من الله عظمة، لولا ذلك لم يقم دين و لم يصلح عيش.

فلولا القلم لما دونت العلوم و لا قيدت الحكم و لا ضبطت أخبار الأولين و مقالاتهم.

و قال بعضهم:

فكأنه و الحبر يخضب رأسه *** شيخ لوصل خديرة يتصنع

لم لا ألاحظه بعين جلاله *** و به إلى الله الصحائف ترفع

و اختلفوا، في أول من علمه بالقلم:

قيل: آدم عليه السلام، قاله كعب الأحبار.

و قيل: إدريس عليه السلام، قاله الضحاك.

و قيل: حصل للناس بالتدريج كاللغات.

و قد كانت العرب أقل الخلق معرفة بالكتابة، و أقلهم معرفة به المصطفى صلى الله عليه و سلم فإنه صُرِف عن علمه، ليكون ذلك أثبت لمعجزته، و أقوى في حجته.

﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ : بخلق القوى ونصب الدلائل وإنزال الآيات فيعلمك القراءة وإن لم تكن قارئاً، وقد عدد سبحانه وتعالى مبدأ أمر الإنسان ومنتهاه إظهاراً لما أنعم عليه، من أن نقله من أخس المراتب إلى أعلاها تقريراً لربوبيته وتحقيقاً لأكرميته، وأشار أولاً إلى ما يدل على معرفته عقلاً ثم نبه على ما يدل عليها سمعا.

فإن من كمال كرمه إخراج الناس منظلمات الجهل إلى نور العلم.

﴿ كَلَّآ ﴾ ردع لمن كفر بنعم الله ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ ﴾: قيل أن من هذه الآية لآخر السورة نزل في أبو جهل، فإنه كان يمنع النبي صلى الله عليه و سلم من أن يصلي عند الكعبة.

﴿ أَن رَّءَاهُ ﴾ أن رأى نفسه فالرؤية قلبية لا بصرية، وهي بمعنى العلم ﴿ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾: بالعشيرة و الأنصار و الأعوان.

﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ ﴾ : تهديد للإنسان من عاقبة الطغيان، أي مرجع من هذا وصفه فنجازيه.

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩ ﴾

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ ﴾ : الضمير لأبي جهل.

﴿ عَبْدًا ﴾ محمدا صلى الله عليه و سلم ﴿ إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ ﴾: يمنعه من الصلاة عند الكعبة كما سبق.

و في الصحيح عن أبي هريرة: أن أبا جهل كان يقول: إن رأيت محمدا يصلي لأطأن على عنقه، فأنزل الله هذه الآيات تعجبا منه.

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ : أي أخبرني عن هذا الذي ينهى إن كان على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله، و لم يذكره تحقيرا له.

﴿أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾﴾ : أي هل يعتقد أن مسدد فيما يأمر به بالمعروف و التقوى من عبادة الأوثان ؟

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ ﴾ بكتاب الله و نبوة محمد ﴿وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾﴾: أعرض عن الإيمان.

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ : ويله! ألم يعلم أبو جهل بأن الله يراه و يعلم فعله فمجازيه و محاسبه ؟، فهو تقرير و توبيخ.

﴿كَلَّا ﴾ ردع لأبي جهل حتى ينتهي عن صنيعه ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ ﴾ عما هو فيه ﴿لَنَسْفَعًۢا ﴾ أي لنأخذن، والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة ﴿ بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾ : ولنسحبنه بها إلى النار.

و الآية و إن كانت في أبي جهل فهي عظة للناس و تهديد لمن يمتنع أو يمنع غيره عن الطاعة.

و الناصية: شعر مقدم الرأس، و قد يعبر بها عن جملة الإنسان مجازا.

و خص الناصية بالذكر على عادة العرب فيمن أرادوا إذلاله و إهانته أخذوا بناصيته.

﴿نَاصِيَةٍ ﴾ أبي جهل ﴿ كَٰذِبَةٍ ﴾في قولها ﴿ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾: في فعلها.

و الإسناد إلى الناصية مجازي وهما لصاحبها حقيقة، و فيه من الحسن و الجزالة ما ليس في قولك: ناصية كاذب خاطئ.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ : أي أهل مجلسه و عشيرته، يستنصر بهم.

روي أنا أبا جهل لعنه الله مر برسول الله صلّى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال: ألم أنهك،

فاغلظ له رسول الله صلّى الله عليه وسلم فقال: أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي نادياً فنزلت.

﴿سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ١٨﴾ : الملائكة الغلاظ الشداد، من الزبن وهو الدفع، ومنه المزابنة في البيع.

روي أن أبا جهل هم بالنبي صلى الله عليه و سلم ليطأ عنقه ثم رجع فزعا فقيل له فقال: رأيت عنده فارسا يهددني فخشيت أن يأكلني، و في رواية أنه حال بينهما واد من نار.

﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ﴾ : أي أطع ربك يا محد و اعص أبا جهل فيما دعاك إليه من ترك الصلاة.

﴿وَٱسۡجُدۡ﴾: أي دم على سجودك، و المراد الصلاة.

﴿وَٱقۡتَرِب۩ ١٩﴾: أي تقرب إلى الله جل ثناؤه بالطاعة و العبادة.

وفي الحديث: "أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد."

و قيل المعنى: اسجد أن يا محمد و اقترب أنت يا أبا جهل من النار و الزبانية.

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "من قرأ سورة العلق أعطي من الأجر كأنما قرأ المفصل كله"

انتهى تفسير سورة العلق و لله الحمد.

سورة القدر مختلف فيها

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥﴾

اختلفوا في سورة القدر، هل هي مكية أم مدنية ؟

قال السيوطي في الإتقان :

"فيها قولان، و الأكثر أنها مكية.

و يستدل لكونها مدنية بما أخرجه الترمذي و الحاكم عن الحسن بن علي:

أن النبي صلى الله عليه و سلم أري بني أمية على منبره فساءه ذلك، فنزلت ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ و نزلت ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾ .. الحديث، قال المزي: وهو حديث منكر." ا.هـ. و ذكر الماوردي أنها مكية و أنه أكثر قول المفسرين.

و حكى الثعلبي عكسه، فقال: هي مدنية في قول أكثر المفسرين.

قال القرطبي: وهي مدنية في قول الضحاك، و أحد قولي ابن عباس، و ذكر الواقدي أنها أول سورة نزلت بالمدينة.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾ : عظم القرآن من ثلاثة أوجه:

الأول: أسند إنزاله إليه وجعله مختص به دون غيره.

الثاني: جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباة و الاستغناء عن التنبيه عليه.

الثالث: الرفع من مقدار الوقت الذي أنزل فيه.

و نزول القرآن نوعان:

نزول من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، و ذلك إنما وقع دفعة واحدة و مرة واحدة.
نزول من السماء الدنيا على محمد صلى الله عليه و سلم، و ذلك بالتدريج مدة ثلاث و عشرين سنة بحسب الوقائع و الأحداث.

قال أهل اللغة:

المراد بالتنزيل باللغة الأول، لأن "أنزل" يدل على ما نزل دفعة، و "نزّل" يدل على ما نزل بالتدريج.

و معنى ليلة القدر: ليلة تقدير الأمور و قضائها أي منها إلى السنة المقبلة لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ ﴾ [سورة الدخان:٥] ، و القدر بمعنى التقدير.

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ ﴾ : أي لم تبلغ درايتك غاية فضلها.

﴿ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ ﴾ : لما فيها من تنزل الملائكة و الروح و فصل كل أمر حكيم.

روي أنه عليه الصلاة والسلام ذكر إسرائيلياً يلبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فعجب المؤمنون وتقاصرت إليهم أعمالهم، فأعطوا ليلة القدر هي خير من مدة ذلك الغازي.

و قيل: كان أهل الكتاب لا يسمون العابد عابدا حتى يعبد الله ألف شهر، ثلاثا و ثمانين سنة و أربعة أشهر، فجعل الله تعالى لأمة محمد صلى الله عليه و سلم عبادة ليلة خيرا من ألف شهر كانوا يعبدونها.

و قيل: كان ملك سليمان خمسمائة شهر، و ملك ذي القرنين مثله، فصار ملكهما ألف شهر، فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة لمن أدركها خير من ملكهما.

و اختلفوا في تعيين ليلة القدر:

الذي عليه مالك و الجمهور: أنها ليلة سبع و عشرين، لحديث زر بن حبيش الذي أخرجه مسلم و غيره.

و قيل: هي في العشر الأواخر من رمضان متغيرة متنقلة.

و قيل: هي في كامل رمضان متغيرة متنقلة.

و قيل: هي في ليالي السنة كلها متغيرة متنقلة.

و من علاماتها: أن الشمس تطلع في صبيحتها بيضاء لا شعاع لها، و أنها ليلة سمحة بلجة، لا حارة و لا باردة، و أن يكون ماء البحر عذبا سلسا.

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ إلى السماء الدنيا أو إلى الأرض ﴿ وَٱلرُّوحُ ﴾ جبريل عليه السلام و قيل: خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ و أمره ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ ﴾: بكل ما قدره الله و قضاه في تلك السنة إلى قابل، قاله ابن عباس.

﴿ سَلَٰمٌ هِىَ ﴾ ما هي إلا سلامة أي لا يقدر الله فيها إلا السلامة، ويقضي في غيرها السلامة والبلاء، و قيل: ما هي إلا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين قيل لا يلقون مؤمنا و لا مؤمنة إلا و سلموا عليهما تلك الليلة ﴿ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾ : إلى طلوع الفجر.

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "من قرأ سورة القدر أعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر."

انتهى تفسير سورة القدر و لله الحمد

سورة البينة مختلف فيها

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ١ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ٢ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ٣ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ٤﴾

*مسألة:

اختلفوا في سورة البينة، هل هي مكية أم مدنية ؟

قال السيوطي في الإتقان:

"قال ابن فارس: الأشهر أنها مكية.

قلت: و يدل لمقابله ما أخرجه أحمد عن أبي حبة البدري قال: لما نزلت: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ١﴾ إلى آخرها، قال جبريل: يا رسول الله، إن ربك يأمرك أن تقرئها أبي بن كعب ... الحديث.

و قد جزم ابن كثير بأنها مدنية." ا.هـ.

و قال القرطبي:

"وهي مكية في قول يحيى بن سلام، و مدنية في قول ابن عباس و الجمهور"

﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بنبوة محمد صلى الله عليه و سلم ﴿مِنۡ﴾ مِنْ للتبيين ﴿أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ اليهود والنصارى ﴿وَٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ وعبدة الأصنام ﴿مُنفَكِّينَ﴾ منفصلين و منتهين عن الكفر ، و قيل: الوعد باتباع الحق إذا جاءهم الرسول الموعود المكتوب عندهم في التوراة و الإنجيل ﴿حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ﴾ أي أتتهم:

﴿ٱلۡبَيِّنَةُ ١﴾ الرسول عليه الصلاة والسلام أو القرآن، فإنه مبين للحق أو معجزة الرسول بأخلاقه والقرآن بإفحامه من تحدى به.

﴿ رَسُولٌ ﴾ بدل من البينة ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ٢﴾: صفة هذا الرسول، و المعنى وإن كان أمياً لكنه لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي لها.

وقيل المراد جبريل عليه الصلاة والسلام وكون الصحف مُطَهَّرَةً أن الباطل لا يأتي ما فيها، أو أنها لا يمسها إلا المطهرون.

قال ابن عباس: مطهرة من الزور و الشك و انفاق و الضلالة.

﴿ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ٣﴾ : مستقيمة مستوية محكمة ناطقة بالحق و العدل.

و المراد بالكتب التي في الصحف: الأحكام التي في القرآن.

فالكتب بمعنى الأحكام، قال تعالى: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ ﴾ [سورة المجادلة:٢١] أي حكم.

﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ٤﴾ : فمنهم من آمن و منهم من أنكر بغيا و حسدا و منهم الشاك المتردد.

و تخصيص أهل الكتاب بالذكر بعد الجمع بينهم وبين المشركين لأنهم مظنة العلم، إشارة إلى شناعة حالهم، وأنهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك أولى.

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ ﴾ في التوراة و الإنجيل.

﴿ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ و يوحدوه ﴿ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾من غير شرك و لا نفاق، و فيه دليل على وجوب النية في العبادات.

﴿ حُنَفَآءَ ﴾ مائلين عن العقائد الزائغة، فأما اليهود فقد اعتقدوا التشبيه، و أما النصارى فقد اعتقدوا الحلول و الاتحاد

﴿ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ بحدودها في أوقاتها ﴿ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ ﴾: أي يعطيها عند محلها، ولكنهم حرفوا وعصوا.

﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾ : أي دين الملة القيمة المستقيمة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ ﴾:

اشتراك الفريقين في جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما في نوعه فلعله يختلف لتفاوت كفرهما.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦ ﴾: أي شر الخليقة.

قال القشيري: البرية من البرى وهو التراب، فلا تدخل الملائكة تحت هذه اللفظة.

و قرأ نافع "شر البريئة" من برأ الله الخلق، كقوله تعالى ﴿ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ ﴾ [سورة الحديد:٢٢] و المراد هم شر البرية الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه و سلم، و لا يبعد أن يكون في كفار الأمم قبل هذا من هو شر منهم مثل فرعون و عاقر ناقة صالح.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ ﴾ : إما في عصرهم و إما على التعميم، و يؤيده ما في الحديث من أن الصحابة خير الناس بعد الأنبياء.

و قال أبو هريرة رضي الله عنه: المؤمن أكرم على الله عز و جل من بعض الملائكة الذين عنده.

﴿ جَزَآؤُهُمۡ ﴾ و ثوابهم ﴿ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ ﴾ أي إقامة.

و المفسرون يقولون جنات عدن بطنان الجنة أي وسطها

و معدن الشيء مركزه و مستقره، قال الأعشى

و إن يُستضافوا إلى حكمه *** يُضافوا إلى راجح قد عَدَنْ

﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ ﴾ لا يظعنون و لا يموتون.

و فيه مبالغات تقديم المدح، وذكر الجزاء المؤذن بأن ما منحوا في مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بأنه من عِنْدَ رَبِّهِمْ، وجمع جَنَّاتُ وتقييدها إضافة ووصفاً بما تزداد لها نعيماً، وتأكيد الخلود بالتأبيد.

﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ : بقبول عملهم ،قال ابن عباس: رضي أعمالهم.

﴿وَرَضُواْ عَنْهُۚ ﴾ : بثواب الله عز و جل لأنه بلغهم أقصى أمانيهم.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الرضا و الثواب ﴿ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨ ﴾ : فإن الخشية ملاك الأمر والباعث على كل خير.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "من قرأ سورة لَمْ يَكُنِ الذين كَفَرُواْ كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا"

انتهى تفسير سورة البينة و لله الحمد

سورة الزلزلة مختلف فيها

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣﴾

*مسألة:

اختلفوا في سورة الزلزلة، هل هي مكية أم مدنية ؟

قال السيوطي في الإتقان:

"فيها قولان.

ويستدل لكونها مدنية بما أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري قال :

"لما نزلت: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧﴾ " الآية، قلت: يا رسول الله إني لراء عملي." الحديث.

وأبو سعيد لم يكن إلا بالمدينة ولم يبلغ إلا بعد أحد." ا.هـ.

قال القرطبي:

"مدنية في قول ابن عباس و قتادة، و مكية في قول ابن مسعود و عطاء و جابر"

﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١﴾ : اضطرابها المقدر لها عند النفخة الأولى.

قال ابن عباس: أي حركت من أصلها.

قال الزمخشري :

"فإن قلت: ما معنى "زلزالها" بالإضافة ؟

قلت: معناه زلزالها الذي تستوجبه الحكمة وهو مشيئة الله وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده زلزال" ا.هـ.

﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ ﴾ : جمع ثقل، وهو متاع البيت، جعل ما في جوفها من الدفائن أثقالا لها.

و المراد: أخرجت ما في جوفها من الكنوز و الأموات.

قال أبو عبيدة و الأخفش: إذا كان الميت في بطن الأرض، فهو ثِقْل لها وإذا كان فوقها فهو ثِقْل عليها.

﴿ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ ﴾ : لما يبهرهم من الأمر الفظيع، وقيل المراد ب الْإِنْسانُ الكافر فإن المؤمن يعلم ما لها.

و عندها يقول الكافر: ﴿ مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ ﴾ [سورة يس] فيقول المؤمن: ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [سورة يس]

﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾

﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ : التنوين عوض عن الجمل السابقة، أي يوم زلزلت الأرض زلزالها إلى آخره.

﴿ تُحَدِّثُ ﴾ الأرضُ الخلقَ ﴿ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ ﴾: ما لأجله زلزالها وإخراجها لأثقالها، أو بما عمل عليها من خير أو شر.

و اختلفوا، في الكيفية حديثها و إخبارها:

قيل: أن الله تعالى يقلبها حيوانا ناطقا فتتكلم بذلك.

و قيل: أن الله تعالى يحدث فيها الكلام.

و قيل: أنه يكون منها بيان يقوم مقام الكلام، قال الطبري تبين أخبارها بالرجة و الزلزلة و إخراج الموتى، قال البيضاوي: تحدث الخلق بلسان الحال.

﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ۝٥ ﴾ : أي إليها، قاله السدي.

أي تحدث بسبب إيحاء ربك لها بأن أحدث فيها ما دلت على الأخبار، أو أَنطقها بها.

﴿ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ ﴾ : يصدرون عن مخارجهم من القبور إلى الموقف.

﴿ أَشۡتَاتٗا ﴾: أي فرقا و جماعات، كما قال تعالى ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ۝١٤ ﴾ [سورة الروم:٢٥] و﴿ يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ ۝٤٣ ﴾ [سورة الروم:٥٤] فمنهم بيض الوجوه آمنين، و منهم سود الوجوه فزعين، يتفرق بهما طريقا الجنة و النار.

﴿ أَشۡتَاتٗا ﴾: أي ثواب و جزاء أعمالهم.

﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ ﴾ : الذرة في لسان العرب إما الحبة و إما النملة الصغيرة و إما الغبار الذي هو الهباء، و تفسيرها بما اصطلح عليه الفيزيائيون حديثا تعسف و تحكم.

"خَيْرًا" تمييز "يَرَهُ": يرى جزاءه و ثوابه.

قال ابن عباس: من يعمل من الكفار ذرة خيرا يره في الدنيا و لا يثاب عليه في الآخرة، و من يعمل مثقال ذرة من شر عوقب عليه في الآخرة مع عقاب الشرك

و من يعمل مثقال ذرة من شر من المؤمنين في الدنيا و لا يعاقب عليه في الآخرة إذا مات و يتجاوز عنه و إن عمل مثقال ذرة من خير يقبل منه، و يضاعف له في الآخرة.

﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ : قدم صعصعة عم الفرزدق على النبي صلى الله عليه و سلم فلما سمع هذه الآية قال: لا أبالي ألا أسمع من القرآن غيرها، حسبي، فقد انتهت الموعظة.

و يحكى أن أعرابيا أخر خيرا يره على شرا يره

فقيل له: قدمت و أخرت

فقال:

خُذا بطن هرشى أو قفا فإنه *** كلا جانبي هرشى لهن طريق

وقيل الآية مشروطة بعدم الإحباط والمغفرة، أو من الأولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالأشقياء لقوله أَشْتاتاً

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "من قرأ سورة إذا زلزلت الأرض أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله"

و لما نزلت الزلزلة بكى أبو بكر. فقال النبي صلى اللّه عليه و سلم: "لولا أنكم تخطئون و تذنبون و يغفر اللّه لكم. لخلق أمة يخطئون و يذنبون و يغفر لهم. إنه هو الغفور الرحيم"

انتهى تفسير سورة الزلزلة ولله الحمد.

سورة العاديات مختلف فيها

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ٥﴾

*مسألة:

اختلفوا في سورة العاديات، هل هي مكية أم مدنية ؟

قال السيوطي في الإتقان:

"فيها قولان.

ويستدل لكونها مدنية بما أخرجه الحاكم وغيره عن ابن عباس: قال: "بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا فلبثت شهرا لا يأتيه منها خبر فنزلت: {والعاديات ... } . " الحديث".

قال القرطبي:

"وهي مكية في قول ابن مسعود و جابر و الحسن و عكرمة عطاء، و مدنية في قول ابن عباس و أنس و مالك و قتادة"

﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ١﴾ : أي الأفراس تعدو، قاله عامة المفسرين و أهل اللغة، أقسم سبحانه بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحاً، وهو صوت أنفاسها إذا عدون.

و عن ابن عباس أن حكى صوتها فقال: أح أح

قال عنترة:

و الخيل تكدح حين تضبح *** في حياض الموت ضِباحا

و روي أن ابن عباس رجع إلى قول علي في أن العاديات ضبحا هي الإبل في الحج.

﴿ فَٱلْمُورِيَٰتِ ﴾ توري نار الحباحب وهي ما ينقدح من حوافرها ﴿ قَدْحًا ۝٢ ﴾:

قادحات صاكات بحوافرها الحجارة.

و الإيراء: إخراج النار.

قال ابن عباس: هو في القتال و في الحج.

و اقتدحت العين إذا أخرجت منها الماء الفاسد.

و قيل: هو مجاز في مكر الرجال في الحرب، تقول العرب: والله لأمكرن بك، والله لأورين بك، قاله مجاهد و زيد بن أسلم.

و قال عكرمة: هي ألسنة الرجال توري النار من عظيم ما تتكلم به و يظهر بها من إقامة الحجج و الدلائل و إيضاح الحق، و إبطال الباطل.

﴿ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ ﴾ : يغير أهلها على العدو في وقت الصبح.

و عن علي و ابن مسعود: هي الإبل تدفع بركبانها يوم النحر من منى إلى الجمع.

﴿ فَأَثَرْنَ ﴾ فهيجن ﴿ بِهِۦ ﴾ أي بالعدو ﴿ نَقْعًا ۝٤ ﴾: أي غبارا، يعني الخيل تثير الغبار بشدة العدو في المكان الذي أغارت فيه.

قال عبد الله بن رواحة:

عدِمتُ بنيتي إن لم تروها *** تثير النقع من كَنَفَيْ كداء

و قيل: النقع رفع الصوت، و منه قول لبيد:

﴿ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ٥ ﴾ : أي فوسطن بركبانهن العدو، و وسطه بمعنى توسطه بذلك الوقت أو بالعدو، أو بالنقع أي ملتبسات به. جَمْعاً من جموع الأعداء.

و قال ابن مسعود: يعني مزدلفة و سميت جمعا لاجتماع الناس.

روي أنه عليه الصلاة والسلام بعث خيلاً فمضت أشهر لم يأته منهم خبر فنزلت

﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ١ ﴾ قال البيضاوي:

ويحتمل أن يكون القسم بالنفوس العادية أثر كمالهنّ الموريات بأفكارهن أنوار المعارف، والمغيرات على الهوى والعادات إذا ظهر لهن مثل أنوار القدس، فَأَثَرْنَ بِهِ شوقاً فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً من جموع العليين.

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ١١ ﴾

﴿ إِنَّ ﴾ جواب القسم ﴿ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ٦ ﴾ : لكفور جحود لنعم الله من كَنَدِ النعمة كنوداً.

قال ابن عباس: الكنود بلسان كندة و حضرموت: العاصي، و بلسان ربيعة و مضر: الكفور، و بلسان كنانة: البخيل السيء الملَكَة.

و قيل: هو الذي إذا مسه الشر جزوع، و إذا مسه الخير منوع.

و قيل: الحقود الحسود.

و قيل: هو الجهول لقدره، و في الحكمة من جهل قدره هتك ستره.

﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ ﴾ على كنوده ﴿ لَشَهِيدٞ ٧ ﴾: يشهد على نفسه لظهور أثره عليه، أو أن الله سبحانه وتعالى على كنوده لشهيد فيكون وعيداً.

﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ ﴾أي المال، كقوله سبحانه وتعالى: إِنْ تَرَكَ خَيْراً أي مالاً﴿ لَشَدِيدٌ ٨ ﴾: لبخيل ممسك، أو لقوي مبالغ فيه.

قال طرفة:

أرى الموت يعتام الكرام و يصطفي *** عقيلة مال الفاحش المتشدد

﴿ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ ﴾ أي أُثير و قُلِب و المراد بُعِث ﴿ مَا ﴾ ما بمعنى مِن ﴿ فِي ٱلۡقُبُورِ ٩ ﴾: من الموتى.

﴿ وَحُصِّلَ ﴾ جمع محصلاً في الصحف أو ميز، و قال ابن عباس: أبرز ﴿ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ١٠ ﴾: ما فيها من الخير و الشر.

﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ١١ ﴾ : عالم بما أعلنوا وما أسروا فيجازيهم عليه لا يخفى عليه منهم خافية، وهو عالم بهم في ذلك اليوم و في غيره و إنما خص يومئذ بالذكر وهو عالم بهم في جميع الأزمان لأن الجزاء يقع يومئذ.

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "من قرأ سورة والعاديات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا"

انتهى تفسير سورة العاديات و لله الحمد

سورة القارعة وهي مكية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلۡقَارِعَةُ ١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٣ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ١١﴾

﴿ٱلۡقَارِعَةُ ١﴾ : أي القيامة و الساعة، قاله عامة المفسرين، و ذلك لأنها تقرع الخلائق بأهوالها و أفزاعها، تقول العرب قرعتهم القارعة إذا وقع بهم أمر فظيع

قال الشاعر:

و قارعة من الأيام لولا *** سبيلهم لزاحت عنك حينا

و قال آخر:

متى نقرع بمروتكم نسؤكم *** و لم توقد لنا في القدر نار

﴿مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٢﴾ : تفخيما لشأنها، وأصله ما هي أي: أي شيء هي على التعظيم لشأنها والتهويل لها، فوضع الظاهر موضع الضمير لأنه أهول لها.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٣﴾ : استفهام على جهة التعظيم لشأنها، كقوله ﴿ٱلۡحَآقَّةُ

﴿١﴾ ﴿مَا ٱلۡحَآقَّةُ ٢﴾ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ٣﴾ وأي شيء أعلمك ما هي، أي أنك لا تعلم كنهها فإنها أعظم من أن تبلغها دراية أحد.

﴿يَوۡمَ﴾ أي يوم تقرع القارعة ﴿يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ٤﴾: المتفرق المنتشر كقوله تعالى ﴿كَأَنَّهُمۡ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ٧﴾ [سورة القمر:٨])" في كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم.

قال جرير:

إن الفرزدق ما علمت و قومه *** مثل الفراش غشين نار المصطلى

﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ﴾ العهن هو الصوف المصبغ ألوانا ﴿ٱلۡمَنفُوشِ ٥﴾: منه لتفرق أجزائهز وتطايرها في الجو.

و قيل: لأنه ينفش باليد فيصير هباء و يزول.

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٦﴾ : باتباعهم للحق و ترجحت مقادير أنواع حسناته.

و اختلف في الموزون:

قيل: الموزون العبد.

و قيل: الموزون الصحائف التي دونت فيها الأعمال.

و قيل: الأعمال نفسها.

و اختلفوا أيضا في الميزان:

فقيل: هو ميزان واحد بيد جبريل.

و قيل: لكل عبد ميزانه.

و ميزان يوم القيامة يختلف عن موازين الدنيا، فالعمل إذا ثقل فيه ارتفع للأعلى لقوله تعالى:

﴿ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ﴾ [سورة فاطر]

﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٧ ﴾ : أي مرضية، من باب إطلاق اسم الفاعل و إرادة اسم المفعول.

﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ ﴾ : باتباعهم الباطل، بأن لم يكن له حسنة يعبأ بها، أو ترجحت سيئاته على حسناته.

﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩ ﴾ : يعني جهنم، سماها أما لأنه يأوي إليها كما يأوي إلى أمه، قاله ابن زيد.

و منه قول أمية بن أبي الصلت:

فلأرض معقلنا و كانت أمنا *** فيها مقابرنا و فيها نولد

و هاوية لأنه يهوي فيها مع بعد قعرها.

و قيل الهاوية اسم الباب الأسفل من النار.

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ ﴾ : الأصل "ماهي" فدخلت الهاء للسكت.

﴿ نَارٌ حَامِيَةُۢ ١١ ﴾ : بلغت النهاية في الحرارة، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:

"ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءًا من حر جهنم.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة"

انتهى تفسير سورة القارعة ولله الحمد.

سورة التكاثر مختلف فيها

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٤ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ٧ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ٨﴾

*مسألة:

اختلفوا في سورة التكاثر، هل هي مكية أم مدنية ؟

قال السيوطي في الإتقان:

"الأشهر أنها مكية ويدل لكونها مدنية ء وهو المختار ء ما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن بريدة أنها نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار تفاخروا ... الحديث.

وأخرج عن قتادة أنها نزلت في اليهود.

وأخرج البخاري عن أبي بن كعب قال: "كنا نرى هذا من القرآن – يعني " لو كان لابن آدم واد من ذهب " – حتى نزلت: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١﴾

وأخرج الترمذي عن علي قال: ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت وعذاب القبر لم يذكر إلا بالمدينة كما في الصحيح في قصة اليهودية." ا.هـ.

قال القرطبي: "وهي مكية في قول جميع المفسرين، و روى البخاري أنها مدنية"

﴿أَلۡهَىٰكُمُ﴾ شغلكم وأصله الصرف إلى اللهو منقول من لها إذا غفل ﴿ٱلتَّكَاثُرُ ١﴾: التباهي بالكثرة في الأموال و الأولاد حتى صرفكم عن ذكر و طاعة الله.

﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ٢﴾ : حتى أدرككم الموت على تلك الحال من الغفلة.

و قيل: افتخرت بالأحياء ثم زرتم المقابر مفتخرين بالأموات.

قال القرطبي: لم يأت في التنزيل ذكر المقابر إلا في هذه السورة، و زيارتها من أعظم الدواء للقلب القاسي لأنها تذكر الموت و الآخرة، و ذلك يحمل على قصر الأمل و الزهد في الدنيا و ترك الرغبة فيها.

ثم ذكر كلاما في آداب الزيارة فأطنب و أحسن، فلينظر.

﴿ كَلَّا ﴾ ردع وتنبيه على أن العاقل ينبغي له أن لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فإن عاقبة ذلك وبال وحسرة ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ﴾ : عاقبة هذا عن النزع.

﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ ﴾ : في القبور.

أو الأول في القبر و الثاني عند الحشر.

قيل: تضمنت السورة القول في عذاب القبر، و أن الإيمان به واجب و التصديق به لازم، و هذا هو مذهب أهل السنة.

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ ﴾ : أي كعلمكم ما تستيقنون من الأمور.

و قيل العلم هنا: الموت.

و قيل: البعث.

قيل: "كلا" في المواضع الثلاثة بمعنى "ألا."

﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ﴾ : جواب قسم محذوف لتوكيد الوعيد، أوضح به ما أنذرهم منه بعد إبهامه تفخيماً.

فهي للكفار دار، و للمؤمنين ممر.

﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ﴾ : مشاهدة، أي الرؤية التي هي نفس اليقين، فإن علم المشاهدة أعلى مراتب اليقين.

قيل: هو كناية عن دوام مقامهم في النار.

قيل في "لترون": الأولى إذا رأيتهم من مكان بعيد والثانية إذا وردوها، أو المراد بالأولى المعرفة

وبالثانية الإبصار.

﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ٨ ﴾ : عن الأمن و الصحة فيم أفنيتموهما ؟ فأي كنتم فيه هو الذي ألهاكم، والخطاب مخصوص بكل من ألهاه دنياه عن دينه.

اختلفوا في النعيم المسؤول عنه:

قيل: الأمن و الصحة، قاله ابن مسعود.

و قيل: الصحة و الفراغ، قاله سعيد بن جبير، و يشهد له الحديث "نعمتان مغبون فيهما"..

و قيل: حاستي السمع و البصر، قاله ابن عباس، تشهد له الآية ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ٣٦ ﴾ و قيل: الملاذ و المأكول و المشروب، قاله جابر.

و قيل: الغداء و العشاء، قاله الحسن.

و قيل: شبع البطون، و بارد الشراب و ظلال المساكن، و اعتدال الخلق، و لدة النوم، قاله مكحول الشامي.

و قيل: صحة البدن و طيب النفس، قاله مالك.

و قيل: النوم مع الأمن و العافية.

و قيل: هو تخفيف الشرائع، و تيسير القرآن.

قال القرطبي: كل هذه نعم فيسأل العبد عنها: هل شكر ذلك أم كفر!

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "من قرأ ألهاكُمُ لم يحاسبه الله سبحانه وتعالى بالنعيم الذي أنعم به عليه في دار الدنيا، وأعطي من الأجر كأنما قرأ ألف آية"

إنتهى تفسير سورة التكاثر ولله الحمد

سورة العصر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣ ﴾

﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ١ ﴾ : اختلفوا في المراد بالعصر:

فقيل: أقسم بصلاة العصر، و استدل به من قال إن صلاة العصر هي الصلاة الوسطى، و قال مالك: الصلاة الوسطى صلاة الصبح.

و قيل: أقسم بالعصر الذي هو العشي كما أقسم بالضحى، لما فيهما من دلائل القدرة.

و قيل: العصر أي الدهر، وهو الصواب، لاشتماله على ما مضى، قاله ابن عباس وغيره، و منه قول الشاعر:

سبيل الهوى وعر و بحر الهوى غمر *** و يوم الهوى شهر و شهر الهوى دهر

أقسم الله به عز و جل لما فيه من الدلالة على الصانع و اشتماله على الأعاجيب.

﴿ إِنَّ ﴾ هذا جواب القسم ﴿ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾: أي كل إنسان، فالالف و اللام للجنس

﴿ لَفِي خُسۡرٍ ٢ ﴾.: التنكير للتعظيم أي لَفِي هلكة و عقوبة و شر، كقوله تعالى ﴿ فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا ٩ ﴾ .

و المعنى: إن الناس لفي خسران في مساعيهم وصرف أعمارهم في مطالبهم.

قال إبراهيم بن الأدهم: إن الإنسان إذا عمر في الدنيا و هرم، لفي نقص و ضعف و تراجع إلا المؤمنين، فإنهم تكتب لهم أجورهم التي كانوا يعملونها في حال شبابهم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ : أي أدوا الفرائض المفترضة عليهم، فإنهم اشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا بالحياة الأبدية والسعادة السرمدية.

و فيهم دليل على أن العمل خارج عن حقيقة الإيمان الذي هو التصديق مع الإذعان و التسليم.

﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾: بالأمر الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، وهو الخير كله من توحيد الله و طاعته و اتباع كتبه و رسله.

وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ : عن المعاصي أو على الحق، أو ما يبلو الله به عباده.

قال البيضاوي:

وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة إلا أن يخص العمل بما يكون مقصوراً على كماله، ولعله سبحانه وتعالى إنما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود، وإشعاراً بأن ما عدا ما عد يؤدي إلى خسر ونقص حظ، أو تكرماً فإن الإبهام في جانب الخسر كرم.

و نقل القرطبي في تفسير السورة:

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢﴾: أبو جهل.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ : أبو بكر.

﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ : عمر.

﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ ﴾ : عثمان.

﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾: علي، رضي الله عنهم أجمعين، رواه عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه و سلم.

و روي أن ابن عباس خطب به على المنبر.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "من قرأ سورة وَالْعَصْرِ غفر الله له وكان ممن تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر"

انتهى تفسير سورة العصر ولله الحمد.

سورة الهمزة وهي مكية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ٩ ﴾

﴿ وَيۡلٞ ﴾ أي الخزي و العذاب و الهلكة، و قيل: واد في جهنم ﴿ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ﴾ : قال ابن عباس: هم المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الأحبة، الباغون للبرآء العيب.

و قيل: الهمزة الذي يعيب الناس من خلفهم، و اللمزة الذي يعيبهم مواجة.

و قيل: الهمزة، الطعن في الناس، و اللمزة الطعن في أنسابهم.

و قيل: الهمز باليد، و اللمز باللسان.

و قيل: الهمز باللسان، و اللمز بالعين.

نزلت في الأخنس بن شريق و كانت عادته الغيبة و الوقيعة، و قيل في الوليد بن مغيرة و اغتيابه لرسول الله صلى الله عليه و سلم.

و السبب خاص و الوعيد عام يتناول كل من باشر هذا الفعل القبيح.

﴿ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ٢ ﴾ : أي جعله عدة للنوازل و نوائب الدهر، و قال الضحاك: أعد ماله لمن يرثه من أولاده.

و قيل: فاخر بعدده و كثرته.

و المراد الذم على إمساك عن سبيل الطاعة.

﴿ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ٣ ﴾ ": تركه خالداً في الدنيا فأحبه كما يحب الخلود، أو حب المال أغفله عن الموت أو طول أمله حتى حسب أنه مخلد فعمل عمل من لا يظن

الموت، وفيه تعريض بأن المخلد هو العمل الصالح و السعي للآخرة فهو الذي أخلد صاحبه في النعيم.

﴿ كَلَّآ ﴾ رد لما توهمه جامع المال الغافل عن أمر الآخرة ﴿ لَيُنۢبَذَنَّ ﴾ ليطرحن و ليلقين، هو و ماله ﴿ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ٤ ﴾ : النار التي صفتها تحطيم كل ما يلقى فيها و تهشيمه.

قيل: وهي في الطبقة السادسة من طبقات جهنم.

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥ ﴾ : تعجيب لأمرها و تفخيم لشأنها.

﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ﴾ : التي أوقد عليها ألف عام و ألف عام و ألف عام فهي خامدة، و معنى الإضافة: أن ما أوقده الله لا يقدر غيره أن يطفئه.

﴿ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧ ﴾ : تدخل في أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم و تطلع على أفئدتهم و هي أوساط القلوب و لا شيء في البدن ألطف من الفؤاد و لا أشد تألما منه بأدنى أذى يمسه، فكيف إذا اطلعت عليه نار جهنم و استولت عليه ؟

كما أن القلب لأنه محل العقائد الزائفة ومنشأ الأعمال القبيحة.

قال محمد بن كعب: تأكل النار أجسادهم حتى إذا بلغت الفؤاد خلقوا خلقا جديدا، فرجعت تأكلهم.

و قيل: تطلع على الأفئدة فتعلم مقدار ما يستحقه كل واحد منهم من العذاب، و ذلك بما استبقاه الله تعالى من الأمارة الدالة عليه.

﴿ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٌ ٨ ﴾ : مغلقة مطبقة.

قال الشاعر:

تحن إلى أجبال مكة ناقتي *** وَمَنْ دُونِهَا أبواب صنعاء مُوصَدَة

﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾ : في بمعنى الباء، أي موصدة بعمد ممددة، قاله ابن مسعود.

أي موثقين في أعمدة ممدودة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص.

و قال ابن عباس: العمد الممددة أغلال في أعناقهم.

و قيل: قيود في أرجلهم.

و الجمهور على أن العمد أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار.

اللهم أجرنا من النار يا خير مستجار بجاه النبي المختار!

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه"

انتهى تفسير سورة الهمزة ولله الحمد.

سورة الفيل وهي مكية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ٥﴾

﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ : أي ألم تخبر ؟ و الاستفهام لتعجيب السامع، عجب الله نبيه من كفر العرب، و قد شاهدت هذه العظمة من آيات الله، و المعنى: وإن لم تشهد تلك الوقعة يا محمد لكن شاهدت آثارها وسمعت بالتواتر أخبارها .. فكأنه رآها، وإنما قال كَيْفَ ولم يقل ما لأن المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله تعالى وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله عليه الصلاة والسلام فإنها من الإِرهاصات.

﴿ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ١﴾ : الملك أبرهة و جنده!

روي أنها وقعت في السنة التي ولد فيها رسول الله صلّى الله عليه وسلم.

قصتها أن أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس، وأراد أن يصرف الحج إليها، فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلاً فأغضبه ذلك، فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود، وفيلة أخرى فلما تهيأ للدخول وعبى جيشه قدم الفيل، وكان كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح، وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى جهة أخرى هرول، فأرسل الله تعالى طيرا، كل واحد في منقاره حجر وفي رجليه حجران، أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة، فترميهم فيقع الحجر في رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا.

﴿أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ٢﴾ : في إبطال و تضييع، لأنهم أرادوا أن يكيدوا

قريشا بالقتل و السبي، و البيت بالتخريب و الهدم.

يقال ضلل كيده إذا جعله ضالا ضائعا، و قيل لامرئ القيس: الملك الضليل لأنه ضلل ملك أبيه، أي ضيعه.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣﴾ : أي مجتمعة، و قيل متتابعة، بعضها في إثر بعض، قاله ابن عباس.

قيل: لا واحد له من لفظه، قاله الفراء و الجوهري عن الأخفش.

و قيل: إبّيل مثل سكين، قاله المبرد، و قيل: إبّال، و قيل: إبّالة.

﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ﴾ حجارة من طين طبخت بنار جهنم، مكتوب فيها أسماء القوم

﴿مِّن سِجِّيلٍ ۝٤﴾: سِجِّيلٍ من طين متحجر معرب سنك كل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير، أو الاسجال وهو الارسال، أو من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون.

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ : أي جعل الله أصحاب الفيل كورق الزرع إذا أكلته الدواب، فرمت به من أسفل، شبه تقطع أوصالهم بتفرق أجزاءه.

و قيل: كتبن أكلته الدواب وراثته.

قال ابن اسحاق: لما رد الله الحبشة عن مكة، عظمت العرب قريشا و قالوا: أهل الله، قاتل عنهم، و كفاهم مؤنة عدوهم، فكان ذلك نعمة من الله عليهم.

و قال عبد المطلب يستغيث بالله آخذا بحقلة باب الكعبة:

لاهمّ إن المرأ يمنع *** أهله فامنع حِلالك

لا يغلبنّ صليبهم *** و محالهم أبدا محالك

إن كنت تاركهم و كعـ***بتنا فأر ما بدا لك

يا رب لا أرجو لهم سواكا *** يا رب فامنع منهم حماكا

و قال نفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته:

أين المفر و الإله الطالب *** و الأشرم المغلوب ليس الغالب

و قال:

حمدت الله إذا أبصرت طيرا *** و حفت حجارة تلقى علينا

فكل القوم يسأل عن نفيل *** كأن علي للحبشان دينا

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "من قرأ سورة الفيل أعفاه الله أيام حياته من الخسف والمسخ"

انتهى تفسير سورة الفيل ولله الحمد

سورة قريش مختلف فيها

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾

*مسألة 1:

اختلفوا في سورة قريش، هل هي مكية أم مدنية ؟

قال القرطبي: مكية في قول الجمهور، و مدنية في قول الضحاك و الكلبي.

و ذكر السيوطي في الإتقان أنها من المتفق على مكيتها.

*مسألة 2:

وقع خلاف في الصدر الأول، في سورة الفيل و سورة قريش، هل هما سورة واحدة متصلة ؟

أم سورتان منفصلتان ؟

نقل السيوطي في الإتقان:

المشهور جعلهما سورة واحدة في مصحف أبي بن كعب

و نقله السخاوي في جمال القراء عن جعفر الصادق و أبي نهيك

و الإجماع و التواتر على أنهما سورتين منفصلتين

قال القرطبي: هذه السورة متصلة بالتي قبلها في المعنى، يقول: أهلكت أصحاب الفيل

لإيلاف قريش، أي لتأتلف، أو تتفق قريش.

و قيل: هي ثلاث سور متصلة: التين ثم الفيل ثم قريش.

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١﴾ : الجار و المجرور متعلقان بقوله لاحقا "﴿ فَلۡيَعۡبُدُواْ ﴾ ".

أي أنه عدد نعمه عليهم، ثم دلهم بضرورة شكر المنعم و إفراده بالعبادة.

إذ المعنى أن نعم الله عليهم لا تحصى فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لأجل إيلافِهِمْ فهي

نعمة ظاهرة.

و قيل: متعلق بما سبق في سورة الفيل من إهلاك أصحاب الفيل، و قد سبق في المسألة 2.

﴿إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢﴾ : أي الرحلة في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام فيمتارون ويتجرون، و كانوا في رحلتهم آمنين لأنهم أهل حرم الله فلا يتعرض لهم، و لا يغار عليهم.

وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قِرش، وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن فلا تطاق إلا بالنار، فشبهوا بها لأنها تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تعلى، وصغر الاسم للتعظيم.

و قيل: من القَرش وهو الكسب و الجمع، لأنهم كانوا كسابين بتجارتهم و ضربهم في البلاد.

و الإيلاف: من قولك ألفت المكان أولفه إيلافا إذا ألفته فأنا مؤلف.

قال الشاعر:

شددت إليك الرحل فوق شملة *** من المؤلفات الزهو غير الأوارك

قال الهروي و غيره: و كان أصحاب الإيلاف أربعة إخوة: هاشم و عبد شمس و المطلب و نوفل بنو عبد مناف.

فأما هاشم فإن كان يؤلف ملك الشام أي أخذ منه حبلا و عهدا يأمن به في تجارته إلى الشام، و أخوه عبد شمس كان يؤلف إلى الحبشة، و المطلب إلى اليمن، و نوفل إلى فارس.

﴿ فَلۡيَعۡبُدُواْ ﴾ دخلت الفاء لأجل ما في الكلام من معنى الشرط: أي فليعبدوه لإيلافهم.

﴿ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣﴾ : الكعبة.

و قيل المعنى: فليألفوا عبادة رب الكعبة، كما كانوا يألفون الرحلتين.

﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾ : التنكير في جوع و خوف

لشدتهما.

قيل المراد به شدة أكلوا فيها الجيف والعظام .

فمعنى "﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ " أي بعد جوع.

﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾ ": أصحاب الفيل أو التخطف في بلدهم ومسايرهم، أو الجذام فلا يصيبهم ببلدهم.

قال ابن عباس: و ذلك بدعوة إبراهيم عليه السلام ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ .

قال عليه: و آمنهم من خوف أي أن تكون الخلافة إلا فيهم.

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "من قرأ سورة لإيلاف قريش أعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها"

انتهى تفسير سورة قريش ولله الحمد

سورة الماعون مختلف فيها

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ۝٣ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ۝٧﴾

*مسألة:

اختلفوا في سورة الماعون، هل هي مكية أم مدنية ؟

قال السيوطي في الإتقان:

"سورة أرأيت: فيها قولان حكاهما ابن الفرس".

قال الزركشي في البرهان:

"سُورَةُ: "(﴿أَرَءَيۡتَ﴾)" مَكِّيَّةٌ إِلَّا قَوْلَهُ: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤﴾ إِلَى آخِرِهَا فَإِنَّهَا مَدَنِيَّةٌ كَذَا قَالَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ"

قال القرطبي:

"وهي مكية في قول عطاء و جابر و أحد قولي ابن عباس، و مدنية في قول آخر له و هو قول قتادة و غيره"

﴿أَرَءَيۡتَ﴾ استفهام معناه التعجب ﴿ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١﴾: أي هل عرفي الذي يكذب بالجزاء أو بالإسلام أو بنبوة محمد من هو ؟

﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي﴾ الذي يكذب بالجزاء هو الذي﴿يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ۝٢﴾: يدفعه عن حقه دفعا عنيفا بجفوة و أذى، و يرده ردا قبيحا بزجر و خشونة، فيقهره و يظلمه.

ذلك أنهم في الجاهلية كانوا لا يورثون النساء و لا الصغار، و يقولون: إنما يجوز المال من يطعن

بالسنان، و يضرب بالحسام.

نزلت في أبي جهل كان وصياً ليتيم فجاءه عرياناً يسأله من مال نفسه فدفعه

و قيل: أبو سفيان نحر جزوراً فسأله يتيم لحماً فقرعه بعصاه.

و قيل: الوليد بن المغيرة

و قيل: منافق بخيل.

﴿ وَلَا يَحُضُّ ﴾ أهله وغيرهم﴿ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ ﴾: و لا يأمر به، من أجل بخله و تكذيبه بالجزاء.

جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف و الإقدام على إيذاء الضعيف، أي: لو آمن بالجزاء و أيقن بالوعيد لخشي الله و عقابه و لم يقدم على ذلك، فحين أقدم عليه دل أن مكذب بالجزاء.

و ليس الذم عاما فلا يتناول من ترك إطعام المسكين لعجزه.

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ﴾ الهلاك و العذاب لهم ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ﴾ : أي غافلون غير مبالين بها.

قال ابن عباس: هو المصلي الذي إن صلى لم يرج لها ثوابا، و إن تركها لم يخش عليها عقابا.

و عنه أيضا: الذين يؤخرونها عن أوقاتها.

قال القرطبي: و يدل على هذا قوله تعالى: ﴿ ۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾

و قيل: هم المنافقون، ينخفضون و يرتفعون و لا يدرون ماذا يفعلون.

و قيل: الذين لا يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه و سلم و السلف و لكن ينقرونها نقرا من غير حشوع و إخبات و لا اجتناب لما يكره فيها من العبث باللحية و الثياب و كثرة التثاؤب و الالتفات.

قال الزمخشري:

"فإن قلت: أي فرق بين قوله "عن صلاتهم" و قولك "في صلاتهم" ؟

قلت: معنى عن أنهم ساهون عنها سهو ترك لها و قلة التفات إليها، و ذلك فعل المنافقين أو الفسقة الشطار من المسلمين.

و معنى "في" أن السهو يعتريهم فيها، بوسوسة شيطان أو حديث نفس، و ذلك لا يكاد يخلو منه مسلم، و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره" ا.هـ.

قال ابن العربي: "السلامة من السهو محال ... و كل من لا يسهو في صلاته، فذلك تجل لا يتدبرها و لا يعقل قراءتها، و إنما همه في أعدادها و هذا رجل يأكل القشور و يرمي اللب."

و عن الحسن البصري: "الحمد لله الذي قال عن صلاتهم و لم يقل في صلاتهم"

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ : أي يري الناس أنه يصلي طاعة وهو يصلي تقية.

و حقيقة الرياء ما في الدنيا بالعبادة.

قال القرطبي:

و أولها: تحسين السمت وهو من أجزاء النبوة، يريد بذلك الجاه و الثناء.

و ثانيها: الرياء بالثياب القصار و الخشنة، ليأخذ بذلك هيئة الزهد في الدنيا.

و ثالثها: الرياء بالقول، بإظهار التسخط على أهل الدنيا، و إظهار و الوعظ و التأسف على ما يفوت من الخير و الطاعة.

و رابعها: الرياء بإظهار الصلاة و الصدقة أو بتحسين الصلاة لأجل رؤية الناس." ا.هـ.

و لا يكون الرجل مرائيا بإظهار العمل الصالح إن كان فريضة فمن حق الفرائض الإعلان بها و تشهيرها، و لذلك قال بعض الصالحين: ترك الفرائض من أجل الرياء رياء.

﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ۝٧﴾ : الزكاة، قاله ابن عباس و علي و مالك.

قال الراعي:

قوم على الإسلام لما يمنعوا*** ماعونهم و يضيعوا التهليلا

و قال ابن مسعود: ما يتعاور في العادة من الفأس و القدر و الدلو و المقدحة و نحوها.

و عن عائشة رضي الله عنها: الماء والنار و الملح.

و قيل: المال بلسان قريش، قاله الزهري و سعيد بن المسيب.

و قيل: كل ما فيه منفعة، قاله الزجاج و المبرد.

و قيل: الماء.

عن النبي صلّى الله عليه وسلم: "من قرأ سورة أَرَأَيْتَ غفر له أن كان للزكاة مؤديا."

انتهى تفسير سورة الماعون ولله الحمد

سورة الكوثر مختلف فيها

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١﴾

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾

*مسألة 1:

اختلفوا في سورة الكوثر، هل هي مكية أم مدنية ؟

قال السيوطي في الإتقان:

"الصواب أنها مدنية ورجحه النووي في شرح مسلم لما أخرجه مسلم عن أنس قال: "بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة فرفع رأسه متبسما فقال: أنزلت علي آنفا سورة فقرأ: {بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ } حتى ختمها ... الحديث." ا.هـ.

و قال القرطبي:

"وهي مكية في قول ابن عباس و الكلبي و مقاتل، و مدنية في قول الحسن و عكرمة و مجاهد و قتادة"

*مسألة 2:

سورة الكوثر أقصر سورة في القرآن، و سورة البقرة أطول سورة فيه.

قال الزركشي في البرهان:

"وَفِي تَسْوِيرِ السُّورَةِ تَحْقِيقٌ لِكَوْنِ السُّورَةِ بِمُجَرَّدِهَا مُعْجِزَةً وَآيَةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُوِّرَتِ السُّوَرُ طِوَالًا وَقِصَارًا وَأَوْسَاطًا تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ الطُّولَ لَيْسَ مِنْ شَرْطِ الْإِعْجَازِ فَهَذِهِ سُورَةُ الْكَوْثَرِ ثَلَاثُ آيَاتٍ وَهِيَ مُعْجِزَةٌ إِعْجَازَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ"

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ : كوثر على وزن فوْعَل، من كثر، فهو المفرط في الكثرة.

وهو نهر بالجنة خص به النبي صلى الله عليه و سلم، أحلى من العسل و أشد بياضا من اللبن

و أبرد من الثلج و ألين من الزبد، حافتاه الزبرجد، و أوانيه من فضة.
وقيل: حوض فيها.
وقيل: أولاده وأتباعه.
وقيل: القرآن العظيم.
و قيل: الشفاعة.
وقيل: علماء أمته، إذ ما من أمة إلا و ذم علمائها إلا علماء ملة محمد، فإنهم قد وصفهم المصطفى بورثة الأنبياء.
و عن ابن عباس: هو الخير الكثير، فقيل له: إن ناسا يقولون: هو نهر في الجنة فقال: هو من الخير الكثير.
﴿ فَصَلِّ ﴾ أقم الصلاة المفروضة عليك ﴿ لِرَبِّكَ ﴾ خالصاً لوجه الله خلاف الساهي عنها المرائي فيها شكراً لإنعامه، فإن الصلاة جامعة لأقسام الشكر ﴿ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ ﴾ : وَانْحَرْ البدن التي هي خيار أموال العرب وتصدق على المحاويج خلافاً لمن يدعهم ويمنع عنهم الماعون، فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية.
و فيه دليل على أن السورة مدنية، إذ ليس بمكة صلاة عيد و نحر.
﴿ إِنَّ شَانِئَكَ ﴾ من أبغضك لبغضه الله من قومك بمخالفتك لهم﴿ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣ ﴾: المقطوع ذكره من الدنيا و الآخرة.
و ذلك أن العاص بن وائل وقف مع النبي صلى الله عليه و سلم يكلمه، فقال له جمع منصناديد قريش: مع من كنت واقفا ؟
فقال: مع ذلك الأبتر.
و كان قد توفي قبل ذلك عبد الله بن رسول الله و كان من خديجة.
و الأبتر من كان له بنون و بنات، ثم مات البنون و بقي البنات، فنزلت ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ

﴿ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾أي الذي لا عقب له إذ لا يبقى له نسل ولا حسن ذكر، وأما أنت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك إلى يوم القيامة، ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف.

عن النبي صلّى الله عليه وسلم: "من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر له في الجنة، ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر العظيم."

انتهى تفسير سورة الكوثر ولله الحمد

سورة الكافرون مختلف فيها

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦﴾

*مسألة:

اختلفوا في سورة الكافرون، هل هي مكية أم مدنية ؟

مكية عند الجمهور.

قال القرطبي: "مكية في قول ابن مسعود و الحسن و عكرمة، و مدنية في أحد قولي ابن عباس و قتادة و الضحاك"

﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ ١﴾ : المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله أنهم لا يؤمنون فهذا من العام الذي أريد به الخصوص.

روي أن رهطاً من قريش قالوا يا محمد تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فنزلت.

قيل: وهم الوليد بن المغيرة، و العاص بن وائل و الأسود بن عبد المطلب، و أمية بن خلف.

و قد كانوا يغضبون من أن ينسبو للكفر، لكنه صلى الله عليه و سلم محروس ممنوع من أن تنبسط عليه منهم يد، أو تقع به من جهتهم أذية.

﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢﴾ : أي لا في الحال في ما تبقى من هذه السنة، و لا في قابل من السنة التي تليها.

لأن "لا" تدخل إلا على مضارع بمعنى الاستقبال.

﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣﴾ الساعة و لا في المستقبل "﴿مَآ أَعۡبُدُ ٣﴾ ": ما

أفرده بالعبودية.

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥﴾ : فلا أنا أعبد الباطل و لا أنتم تعبدون الحق.

قال أهل المعاني:

نزل القرآن بلسان العرب، و من مذاهبهم التكرار و إرادة التأكيد و ولإفهام، كما أن مذاهبهم الاختصار إدرادة التخفيف و الإيجاز، لأن خروج الخطيب و المتكلم من شيء إلى شيء أولى من اقتصاره في المقام على شيء واحد.

قال ابن عباس: ليس في القرآن أشد غيظا لإبليس من هذه السورة، لأنها توحيد للرب و براءة من الشرك.

و قال الأصمعي: كان يقال لـ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١﴾ و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ المقشقشتان، أي أنهما تبرئان من النفاق.

و قال أبو عبيدة: كما يقشقش الهناء الجرب فيبرئه.

﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ﴾ الذي أنتم عليه لا تتركونه ﴿وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ : ديني الذي أنا عليه لا أرفضه.

و المعنى: لكم جزاء شرككم و لي جزاء توحيدي.

و ليس فيه إذن في الكفر و لا السكوت عن الباطل ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخاً بآية القتال، اللهم إلا إذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من الفريقين الآخر على دينه، وقد فسر الدِينِ بالحساب والجزاء والدعاء والعبادة.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "من قرأ سورة الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرىء من الشرك"

انتهى تفسير سورة الكافرون ولله الحمد

سورة النصر وهي مدنية

و تسمى سورة التوديع، وهي آخر سورة نزلت جميعا، قاله ابن عباس في صحيح مسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾

﴿إِذَا﴾ لما يستقبل ﴿جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ إظهاره إياك على أعدائك﴿وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ : فتح مكة، وقيل المراد جنس نصر الله المؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم.

و الإعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوة.

وإنما عبر عن الحصول بالمجيء تجوزاً للإشعار بأن المقدرات متوجهة من الأزل إلى أوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيئاً فشيئاً، وقد قرب النصر من وقته فكن مترقباً لوروده مستعداً لشكره.

و قيل: ما فتحه عليه من العلوم.

﴿وَرَأَيۡتَ﴾ عرفت و علمت ﴿ٱلنَّاسَ﴾ من العرب و العجم ﴿يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ملة الإسلام التي لا دين له يضاف إليه غيره ﴿أَفۡوَاجٗا ٢﴾: جماعات كثيفة كأهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب.

و ذلك لما فتحت مكة فقالت العرب: أما إذا ظفر محمد بأهل الحرم، و قد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل، فليس لكم به يدان، فكانوا يسلمون أفواجا، أمة أمة.

و روي أيضا أنه لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: الله أكبر، جاء نصر الله و الفتح، و جاء أهل اليمن! قوم رقيقة قلوبهم، الإيمان يمان، و الفقه يمان، و الحكمة يمانية.

قال ابن عساكر و السبكي و غيرهما: فيه إشارة و بشارة بظهور الشيخ أبي الحسن الأشعري،

و ذلك أنهم الأشعريين لما قدموا على رسول الله سألوا عن أول الأمر و عن أصول الديانة.

﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ ﴾ : فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال أحد و قل سبحان الله حامدا له.

و قيل: فصل له حامدا على نعمه.

و التسبيح التنزيه، أي نزهه عما لا يجوز في حقه.

وتقديم التسبيح على الحمد ثم الحمد على الاستغفار على طريق النزول من الخالق إلى الخلق.

كما قيل ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله.

و في الصحيحين: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يكثر أن يقول في ركوعه و سجوده "سبحانك اللهم ربنا و بحمده، اللهم اغفر لي" يتأول هذه الآية.

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ﴾ و لم يزل ﴿ تَوَّابَۢا ٣ ﴾: على المسبحين و المستغفرين، يقبل توبتهم.

و روى أن عمر رضي الله عنه لما سمعها بكى و قال: الكمال دليل الزوال، و عاش رسول الله بعدها سنتين.

و قيل: فيها نعي لرسول الله صلّى الله عليه وسلم لأنه لما قرأها بكى العباس، فقال عليه الصلاة والسلام ما يبكيك، فقال: نعيت إليك نفسك، فقال إنها لكما تقول، ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال أمر الدين فهي كقوله: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ أو لأن الأمر باستغفار تنبيه على دنو الأجل، ولهذا سميت سورة التوديع.

روي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم: "من قرأ سورة إذا جاءَ أعطي من الأجر كمن شهد مع محمد عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة شرفها الله تعالى"

انتهى تفسير سورة النصر ولله الحمد

سورة المسد وهي مكية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ٥﴾

﴿تَبَّتۡ﴾ هلكت أو خسرت ﴿يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١﴾: التباب خسران يؤدي إلى الهلاك، و منه قولهم: أشابة أم تابة ؟ أي هالكة من الهرم.

و خص اليدين بالتباب لأن العلمل و الاكتساب أكثر ما يكون بهما، قيل المراد باليدين نفسه، و يعبر عن النفس باليد كما قال تعالى ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ أي نفسك.

و هذا مهيع كلام العرب، تعبر ببعض الشيء عن كله تقول: أصابته يد الدهر، و يد الرزايا و المنايا، أي أصابه كل ذلك، قال الشاعر:

لما أكبّتْ يد الرزايا *** عليه نادى ألا مُجير

وقيل: المراد بهما دنياه وأخراه، وإنما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته ولأن اسمه عبد العزى فاستكره ذكره، ولأنه لما كان من أصحاب النار كانت الكنية أوفق بحاله.

روي أنه عليه الصلاة والسلام لما نزل عليه ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ جمع أقاربه فأنذرهم فقال أبو لهب: تباً لك ألهذا دعوتنا، وأخذ حجراً ليرميه به فنزلت .

قال الفراء: التب الأول دعاء و الثاني خبر.

قال الشاعر:

جَزَانِي جَزَاهُ الله شَرَّ جَزائِه *** جَزاءَ الكِلاَبِ العَاوِيَاتِ وَقَدْ فَعَل

و كني عبد العزى بن عبد المطلب بأبي لهب لحسنه و إشراق وجهه، إذا علمت هذا فاعلم أن الصورة التي يصور بها أبا لهب من أنه بشع الخلقة محض خطأ، و جهل بالقرآن و تفسيره، و التاريخ و سيره.

﴿مَآ﴾ استفهام إنكار و قيل: للنفي ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾: أي ما دفع عنه عذاب الله ما جمع من المال و لا ما كسب من الجاه و ما ولد له من ولد.

﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾ : ذات اشتعال و تلهب، و السين للوعيد، أي: هو كائن لا محالة و إن تراخى وقته.

قال ابن عباس: لما خلق الله عز و جل القلم، قال له: اكتب ماهو كائن، و كان فيما كتب ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾و قال المنصور: سئل الحسن البصري عن قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ هل كان في أم الكتاب ؟ و فهل كان أبو لهب يستطيع ألا يصلى النار ؟

فقال: والله ما كان يستطيع ألا يصلاها، و إنها لفي كتاب الله من قبل أن يخلق أبو لهب و أبواه.

و في الخبر أن أبا لهب لا يعذب يوم مولد النبي صلى الله عليه و سلم.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ العوراء أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان، و قال ابن العربي: العوراء أم قبيح ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤﴾: قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و السدي: كانت تمشي بالنميمة بين الناس، تقول العرب: فلان يحطب على فلان.

و لذلك قيل: نار الحقد لا تخبو.

و قيل: كانت تحمل حزمة من الشوك و الحسك فتنثرها في طريق رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و قيل: كانت هي التي توسوس لزوجها و تحمله على إيذائ النبي صلى الله عليه و سلم.

و قيل: كانت تحمل الحطب على ظهرها وهي من هي في قومها، و لا تستأجر من يحمله عنها، لبخلها، فعيرت بالبخل، كما عيرت النبي صلى الله عليه و سلم بالفقر.

﴿فِي جِيدِهَا ﴾ عنقها ﴿ حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾: أي مِمَّا مُسِّدَ من ليف، و قد يكون من جلود الإبل.

وهو ترشيح للمجاز أو تصوير لها بصورة الحطابة التي تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تحقيراً لشأنها، أو بياناً لحالها في نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع، وفي جيدها سلسلة من النار.

عن النبي صلّى الله عليه وسلم: "من قرأ سورة تبت رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار واحدة."

انتهى تفسير سورة المسد ولله الحمد

سورة الإخلاص مختلف فيها

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤ ﴾

*مسألة:

اختلفوا في سورة الإخلاص، هل هي مكية أم مدنية ؟

قال السيوطي في الإتقان:

"فيها قولان لحديثين في سبب نزولها متعارضين.

وجمع بعضهم بينهما بتكرر نزولها ثم ظهر لي بعد ترجيح أنها مدنية كما بينته في أسباب النزول." ا.هـ.

و قيل: هي مما نزل بين مكة و المدينة.

و قال القرطبي: "مكية في قول ابن مسعود و الحسن و عطاء و عكرمة و جابر، مدنية في أحد قولي ابن عباس و قتادة و الضحاك و السدي"

﴿ قُلۡ هُوَ ﴾ ضمير الشأن﴿ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ﴾: روي أن قريشاً قالوا: يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا إليه فنزلت.

و ﴿ أَحَدٌ ١ ﴾أي الواحد الوتر، الذي لا شبيه له و لا نظير له و لا صاحبة، و لا ولد و لا شريك.

واحد في ذاته لا قسيم له، وواحدٌ في صفاته لا شريك له، وواحدٌ في أفعاله لا نِدَّ له.

و قال الشيخ أحمد زروق:

ليس في ذاته سواه، ولا في سواه ذاته.

يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال إذ الواحد الحقيقي ما

يكون منزه الذات عن أنحاء التركيب والتعدد، وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للألوهية.

نص المتكلمون على أن هذه السورة من المحكمات في التنزيل، كقوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ ، وهي مما يرد إليها ما تشابه.

قال الإمام الفخر الرازي:

"هذه السورة يجب أن تكون من المحكمات لا من المتشابهات، لأنه تعالى جعلها جوابا عن سؤال السائل، و أنزلها عند الحاجة، و ذلك يقتضي كونها من المحكمات لا من المتشابهات".

ثم قال:

"قوله تعالى: "أحد" يدل على نفي الجسميه و نفي الحيز و الجهة... فذلك لأن الجسم أقله أن يكون مركبا من جوهرين، و ذلك ينافي الوحدة"..

و قال:

"و كونه إلها يقتضي كونه غنيا عما سواه، و كل مركب فإنه مفتقر إلى كل واحد من أجزاءه، و كل واحد من أجزائه غيره، و كل مركب فهو مفتقر إلى غيره، و كونه إلها يمنع من كونه مفتقرا إلى غيره، و ذلك يوجب القطع بكونه أحدا و كونها أحدا يوجب القطع بأنه ليس بجسم و لا جوهر، و لا في حيز و جهة، فثبت أن قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ برهان قاطع على ثبوت هذه المطالب.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ : السيد الذي يصمد إليه في الحاجات، قاله ابن عباس.

فلا يستغنون عنه، وهو مستغن عنهم.

وهو الموصوف به على الإطلاق فإنه يستغني عن غيره مطلقاً، وكل ما عداه محتاج إليه في جميع جهاته، وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف أحديته وتكرير لفظة الله للإشعار بأن من لم يتصف به لم يستحق الألوهية.

﴿لَمۡ يَلِدۡ﴾ مستغن عن الصاحبة و الولد اللذان هما من كمال الإنسان، لكنهما نقص في حق الباري، و لامتناع الحاجة والفناء عليه ﴿وَلَمۡ يُولَدۡ ٣﴾: فهو قديم لا أول له و لا مفتتح لوجوده، و لأن كل مولود و حادث فهو مفتقر إلى محدث

﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ : ولم يكن أحد يكافئه أو يماثله من صاحبة أو غيرها، و المراد منها نفي أقسام الأمثال فهي كجملة واحدة منبهة عليها بالجمل.

و هذه السورة مع قصرها اشتملت على جميع المعارف الإلهية والرد على من ألحد فيها.

جاء في الحديث أنها تعدل ثلث القرآن.

فإن مقاصده محصورة في بيان العقائد والأحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك

.

وعنه صلّى الله عليه وسلم، أنه سمع رجلاً يقرؤها فقال: "وجبت" قيل: يا رسول الله وما وجبت قال: "وجبت له الجنة."

انتهى تفسير سورة الإخلاص ولله الحمد

سورة الفلق مختلف فيها

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾

*مسألة:

اختلفوا في سورة الفلق، هل هي مكية أم مدنية ؟

قال السيوطي في الإتقان:

"المعوذتان: المختار أنهما مدنيتان لأنهما نزلتا في قصة سحر لبيد بن الأعصم كما أخرجه البيهقي في الدلائل".

قال القرطبي:

"وهي مكية في قول الحسن و عكرمة و عطاء و جابر.

و مدنية في أحد قولي ابن عباس و قتادة"

ثم قال: "و زعم ابن مسعود أنهما دعاء تعوذ به، و ليستا من القرآن، خالف به الإجماع من الصحابة و أهل البيت..

قيل: لم يكتبها لأنه أمن عليهما النسيان، فأسقطهما وهو يحفظهما كما أسقط فاتحة الكتاب من مصحفه"

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١﴾ : اختلفوا في معنى "﴿ ٱلۡفَلَقِ ﴾ ":

قيل: سجن في جهنم، قاله ابن عباس.

و قيل: واد في جهنم، قاله الكلبي.

و قيل: اسم من أسماء جهنم، قاله الحبلي.

و قيل: شجرة في جهنم، قاله ابن عمر.

و قيل: الصبح، قاله الجمهور.

قال البيضاوي: "ما يفلق عنه أي يفرق كالفرق فعل بمعنى مفعول، وهو يعم جميع الممكنات، فإنه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الإِيجاد عنها، سيما ما يخرج من أصل كالعيون والأمطار والنبات والأولاد، ويختص عرفاً بالصبح ولذلك فسر به. وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيامة، والإِشعار بأن من قدر أن يزيل به ظلمة الليل عن هذا العالم قدر أن يزيل عن العائذ به ما يخافه، ولفظ الرب هنا أوقع من سائر أسمائه تعالى لأن الإعاذة من المضار تربية".

*مسألة: روي أن سبب نزول المعوذتين هو أن يهوديا سحر النبي صلى الله عليه و سلم، و اختلفوا، هل يصح أن يسحر نبي ؟

منعه جمهور المتكلمين و المعتزلة، و ردوا الخبر لمعارضته القطعيات.

و جوزه جماعة من الفقهاء و المحدثين.

و جمع قوم بين المذهبين فقالوا: "سحر يهودي" أي أراد أن يسحر، و لكن الله عصم نبيه، فلم يتأثر بالسحر.

﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ ﴾ : خص عالم الخلق بالإستعاذة عنه لانحصار الشر فيه، فإن عالم الأمر خير كله، وشره اختياري لازم ومتعد كالكفر والظلم، وطبيعي كإحراق النار وإهلاك السموم.

﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ ﴾ الليل إذا اعتكر ظلامه و قيل لأنه أبرد من النهار و الغاسق البارد ﴿ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ ﴾: إذا دخل ظلامه في كل شيء.

و قيل: الغاسق القمر، و إذا وقب أي إذا دخل في ساهوره و غاب، و ذلك في الخسوف.

و قيل: الغاسق الحية إذا لدغت، و كأن الغاسق نابها، لأن السم يغسق منه أي يسيل، و وقب الناب، دخل في اللديغ.

﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ ﴾ : يعنى الساحرات اللائي ينفثن في عقد الخيط حين

يرقى عليها.

وقيل: المراد بالنفث في العقد إبطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقد بنفث الريق ليسهل حلها.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ : إذا ظهر حسده و عمل بمقتضاه.

و الحسد: تمنى زوال نعمة المحسود و إن لم يصر للحاسد مثلها.

و المنافسة: تمني مثلها و إن لم تزل.

فالحسد شر مذموم و المنافسة مباحة وهي الغبطة، و قد روي عن النبي صلى الله عليه و سلم: المؤمن يغبط، و المنافق يحسد.

و في السورة رد على المعتزلة القائلين بأن الله لا يريد و لا يخلق الشر.

عن النبي صلّى الله عليه وسلم: "لقد أنزلت عليّ سورتان ما أنزل مثلهما وإنك لن تقرأ سورتين أحب ولا أرضى عند الله منهما يعني المعوذتين."

انتهى تفسير سورة الفلق ولله الحمد

سورة الناس مختلف فيها

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ٦ ﴾

*مسألة:

اختلفوا في سورة الناس، هل هي مكية أم مدنية ؟

سبق الكلام عنها و عن سورة الفلق، فإنهما قد نزلتا معا.

﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ﴾ مربيهم و مصلحهم و مدبر شؤونهم ﴿ ٱلنَّاسِ ١ ﴾ : لما كانت الاستعاذة في السورة المتقدمة من المضار البدنية وهي تعم الإنسان وغيره والاستعاذة في هذه السورة من الأضرار التي تعرض للنفوس البشرية وتخصها، عمم الإضافة ثمَّ وخصصها بالناس ها هنا فكأنه قيل: أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذي يملك أمورهم ويستحق عبادتهم.

﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ ﴾ : و مالكهم.

﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣ ﴾ : ثلث بـ"إله" لأنها صفة خاصة به لا يشاركه فيها غيره.

و الإضافة للناس دون غيرهم من الخلق تشريف لهم، ثم يستدل به على أنه المستحق للعبادة لا غير، وتدرج وجوه الاستعاذة كما يتدرج في الاستعاذة المعتادة، تنزيلاً لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات إشعاراً بعظم الآفة المستعاذ منها.

﴿ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ﴾ الشيطان الذي يوسوس ﴿ ٱلۡخَنَّاسِ ٤ ﴾: الذي عادته أن يخنس أي يتأخر إذا ذكر الإنسان ربه.

قيل: إن الوسواس الخناس ابن إبليس، بعثه إبليس بعد أن طرد من الجنة حتى يغوي آدم و

حواء.

﴿ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ : يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق.

﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ بيان ل الْوَسْواسِ، أو للذي أو متعلق ب يُوَسْوِسُ أي يوسوس في صدورهم

"﴿ مِنَ ﴾جهة﴿ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ : وقيل بيان ل النَّاسِ على أن المراد به ما يعم الثقلين، وفيه تعسف إلا أن يراد به الناسي كقوله تعالى: يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ فإن نسيان حق الله تعالى يعم الثقلين.

عن النبي صلّى الله عليه وسلم "من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تبارك وتعالى"

انتهى تفسير سورة الناس ولله الحمد

انتهى تفسير جزء عم و

لله الحمد و المنة

اللهم تقبل منا بجاه

هذا الشهر المعظم و

النبي الأكرم